قمت بإجراء التصويبات التي اقترحها علي أعضاء لجنة المناقشة
فاطمة عبد القادر رضوان

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

إجازة قدم للمشرف ٢١ شعبان ١٤٠٤هـ

المشرف
أحمد السيد دراج
٢١/٨/١٤٠٤هـ

المغرب في عصر الولاة الأمويين (٩٠ - ١٣٢هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد
الطالبة / فاطمة عبد القادر رضوان

إشراف
الدكتور أحمد السيد دراج



١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

إهداء وشكر ...

((اهداء وشكر))

أهدى هذا البحث الى روح والدىّ العزيزين اللذين ربيانى وأحسنا الىّ ، أسأل الله تعالى أن يتغمدهما بواسع رحمته وأن يسكنهما فسيح جناته .

وأقدم شكرى وتقديرى لأستاذى الفاضل الدكتور أحمد السيد دراج الذى ما بخل علىّ قط بتوجيهاته وارشاداته وأفادنى بخبرته وآرائه القيمة حتى انتهى البحث الى هذه الصورة .

كما أقدم شكرى الى كل من ساهم وأعان بجهوده وآرائه ومكتبته فى اخراج هذا البحث .

أسأل المولى تعالى أن يجزى الجميع عنى خيراً ، وأن يجعل عملى هذا علماً ينتفع به فى الحياة وبعد الممات .

الطالبة

فاطمة عبد القادر رضوان

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

أما بعد :

فانه ما ان يضيء نور الاسلام على بلد من بلدان العالم حتى تجد ملامح ذلك البلد قد تغيرت وتبدلت واتخذت وجها جديدا كل الجدّة عقائدياً وبشرياً وحضارياً يختلف تمام الاختلاف عن وجهه السابق ..

وذلك ما حدث فعلا في بلاد المغرب ، فبعد استقرار الفتح الاسلامي هناك باعتناق سكانه الاسلام ، ثم ما ترتب على ذلك من تعريب دمائهم ولسانهم عن طريق التزاوج والاختلاط بالعرب الفاتحين وبالعرب الذين هاجروا اليه فيما بعد من المشرق ، حتى بدى الوجه الاسلامي العربي للمغرب .

والواقع ان الفترة التي نتحدث عنها جديرة بالدراسة والبحث ذلك أن عملية التغيير الجذري التي أحدثها الاسلام في المغرب كانت لها آثار ونتائج عظيمة ، فالفتح الاسلامي لم يكن فتحا عسكريا وانما كان فتحا عقائديا وتحريرياً وحضارياً شمل الجوهر والمظهر .

وقد نعم المغرب في ظل الفتح الاسلامي بفترة هدوء واستقرار ، ونشاط في نشر الاسلام وتعريب لأهله بذل فيه الصحابة والتابعون والفقهاء جهودا

جبارة لاحداث تلك النقلة العظيمة التى تمثلت فى ذلك الوجه الجديد للمغرب ، وهو الوجه الاسلامى العربى الذى يحتفظ به الى يومنا هذا . ومما ساعد على ذلك السياسة الرشيدة التى سار عليها الخلفاء وولاة المغرب وقادته ازاء البربر .

فقد اعتنق جميع أهل المغرب الاسلام ، كما نشطت بالتالى حركة التعريب ، وكادت تنتهى بتعريب أهله تعريباً تاماً لولا الأحداث التى حدثت سنة ١٠٢ هـ بسبب سوء سياسة الوالى الأموى فى بلاد المغرب يزيد بن أبى مسلم ازاء البربر ، ومن بعده بعض الولاة الآخرين . وقد أدى ذلك الى خروج البربر عن طاعة العرب . ومما ساعد على اذكاء هذه الحركة واشتعالها بل وتحولها الى حروب بين العرب وبين البربر انتشار مبادئ الخوارج الأباضيه والخوارج الصفريه بين البربر ، وتمخضت هذه الحروب بين العرب والبربر عن غلبة البربر على المغربين الأقصى والأوسط وانحسار النفوذ العربى الى المغرب الأدنى ، كما نتج عنهما انحسار حركة التعريب بين البربر وتمثّل ذلك فى وجود أقلية من البربر احتفظت بدمائها الأصليه وآثرت حياة العزله فى المناطق الجبلية . وفى هذا الصدد لا يفوتنى أن أسجل أن هذه الأحداث التى حدثت بين العرب وبين البربر بسبب سوء سياسة بعض ولاة المغرب ازاء البربر ، وما ترتب عليها من نتائج ، لم تخلخل قيد أنمله عقيدة الاسلام فى نفوس البربر ، بل أدت الى زيادة تمسكهم بالاسلام وتأصل جذوره فى قلوبهم . ذلك أنهم كانوا على وعى كبير بروح الاسلام وتعاليمه جعلتهم يفرقون بين سوء معاملة بعض ولاة العرب لهم ، وبين الاسلام الذى ارتضوه

لأنفسهم عقيدة .

كما نتج عن هذه الأحداث أيضا تأصل مبادىء الخوارج الأباضية والخوارج الصفريه بين هذه الأقلية من قبائل البربر ، بل الى قيام أول دولتين في العالم الاسلامي على مبادىء الخوارج منذ منتصف القرن الثاني للهجرة ، وهما دولة بني رستم على مذهب الخوارج الأباضيه وعاصمتها مدينة تاهرت ، ودولة بني المدرار على مذهب الخوارج الصفريه وعاصمتها مدينة سجلماسه .

لقد دارت حروب طويلة بين قوات الأمويين وبين البربر مُنيت فيها قوات الأمويين بهزائم ساحقة . ثم أخيرا كان النصر المبين لقوات الأمويين في ولاية الوالي حنظله بن صفوان ، الذى لم تكد الأمور تستقر له في بلاد المغرب حتى خرج عليه عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذى أسس امارة له في تونس وأعلن ولاءه للدولة الأموية ثم للدولة العباسية .

وتضم الرسالة فصلين ، الفصل الأول يحتوى على نقطتين ، والفصل الثاني يحتوى على ثلاثة نقاط .

كما قدمت للبحث بمقدمة أبرزت فيها أهمية دراسة أحوال بلاد المغرب في زمن الولاة الأمويين ، وبتمهيد تحدثت فيه عن الفتح الاسلامي لبلاد المغرب وجهود قادة الفتح الاسلامي في نشر الاسلام وحركة التعريب فيه ، ثم استعرضت محتويات الفصلين ، وأعقبت ذلك بخاتمة أبرزت فيها أهم ما توصلت اليه في هذا البحث من نتائج :

فأما الفصل الأول فعنوانه " ولاة بني أميه في المغرب ٩٠ - ١٣٢ هـ " ،

وقد تناولت فيه بحث نقطتين :

فى النقطة الأولى وهى عن سياسة ولاة بنى أمية ازاء البربر وجهودهم فى نشر الاسلام بينهم ،فتحدثت عن السياسة الطيبةالتى اتبعها الوالى محمد بن يزيد القرشى ، وخلفه اسماعيل بن عبيد الله مع البربر وأثر هذه السياسة فى اسلام الكثيرين من البربر الذين لم يكونوا قد اعتنقوا الاسلام بعد ، ثم جهود الولاة الأمويين فى نشر الاسلام بين البربر وفى تعريب بلاد المغرب . كما تحدثت عن سوء سياسة بعض ولاة العرب للبربر مثل يزيد ابن أبى مسلم ،وما ترتب على ذلك من نتائج هذه السياسة التى تمثلت فيما قام به بعض ولاة العرب بالمغرب من عدم رفع الجزيه والخراج عن بعض قبائل البربر فى المغرب الأقصى خاصة على اعتبار أن اسلامهم كان اسلاماً ظاهرياً سطحياً ولم يكن اسلاماً حقيقيا ،وهو ما رفضته هذه القبائل البربرية واعتبرت ما قام به هؤلاء الولاة خروجا عن تعاليم الاسلام . وقد أوضحت وجهة النظر الاسلامية فى هذا الأمر الذى أدى الى خروج البربر على العرب .

وفى النقطة الثانية تحدثت عن استمرار حركة التعريب فى بلاد المغرب من حيث التعريب اللغوى والتعريب البشرى ، وأظهرت فيها الصبغة الاسلامية العربية الجديدة التى صُبغت بها بلاد المغرب .

ثم عرجت على الفصل الثانى وعنوانه " الحركات السياسية فى بلاد المغرب فى أواخر العصر الأموى " . ويحتوى هذا الفصل على ثلاثة نقاط :

النقطة الأولى : عن انتشار مبادئ الخوارج الأباضيه والخوارج الصفريه فى بلاد المغرب ، وتحدثت فيها عن مبدأ قيام الخوارج وتطور أفكارهم الدينية والسياسية فى المشرق ، ثم دخول المذهب الأباضى والمذهب الصفرى الى بلاد المغرب ، وظروف اعتناق البربر لتلك المبادئ فى ذلك الوقت .

وفى النقطة الثانية تحدثت عن الحركات التى قام بها البربر ضد العرب والغوضى العارمة التى اجتاحت المغرب نتيجة لهزيمة الجند العرب أكثر من مرة امام البربر ، وأخيراً ما تحقق من نصر أحرزته جيوش الخلافة على قوات البربر فى ولاية حنظله بن صفوان .

أما النقطة الثالثة والأخيرة فكانت عن امارة بنى حبيب الفهرى على بلاد المغرب ، واعلان الخطبة للخليفة العباسى . وفيها ناقشت خروج عبد الرحمن بن حبيب على حنظله بن صفوان ، وتأسيس قوة له فى تونس ثم اعلانه قيام امارة له بعد خروج حنظله بن صفوان من بلاد المغرب واعلان ولائه الاسمى للدولة الأموية ثم للدولة العباسية . وبعد ذلك تحدثت عن حركات الخوارج الأباضية وثوراتهم ضد عبد الرحمن بن حبيب ونجاحه فى القضاء عليهم ، وأخيراً تكلمت عن نهاية بنى حبيب بعد مقتل عبد الرحمن وما حدث من مشاكل بين أبنائه واخوته .

ثم ختمت الرسالة بخاتمة أوضحت فيها نتائج جهود ولاة بنى أمية فى نشر الاسلام وحركة التعريب فى بلاد المغرب ، ونتائج السياسة

التعسفية التى استعملها بعض ولاة بنى أمية إزاء البربر المسلمين والتى تمثلت فى اعتناق البربر لمبادىء الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية .

وفى نهاية الرسالة يجد القارىء ثبتاً بقائمة المصادر والمراجع الرئيسية التى اعتمدت عليها فى كتابتها .

* *

عرض لأهم المصادر والمراجع

لقد اعتمدت فى كتابة هذه الرسالة على مصادر التاريخ الاسلامى المغربية والمشرقية التى تناولت تاريخ المغرب الاسلامى فى الفترة التى نتحدث عنها (٩٠ - ١٣٢ هـ) ، وكذلك على بعض المراجع الحديثة ، وكتب الفقه يجدها القارئ مثبتة فى قائمة المصادر والمراجع . هذا ويجدر بى أن أنوه فى بداية هذا العرض لأهم المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى استخراج المادة العلمية لبحثى هذا أن معظم المصادر القديمة تسرد الأحداث التاريخية مقتضبة دون تحليل وتمحيص ، ولكنه رغم هذا الاقتضاب فاننا نستطيع أن نستخلص منها فى غالب الأحيان معلومات عن هذه الأحداث التاريخية فى غاية الدقة . ومن أهم هذه المصادر :-

١ - الرقيق القيروانى (ت ٤١٧ هـ) وكان اعتمادى على كتابه " تاريخ افريقيه والمغرب " فى جميع مباحث الرسالة اذ أنه مستوف لأحداث الفترة التى أتحدث عنها . ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة فى تاريخ المغرب ، فقد حفظ لنا أخبار الفتح الاسلامى ، وأخبار عصر الولاة الأمويين ثم العباسيين وعنه ينقل ابن عذارى .

٢ - ابن أبى دينار (ت أواخر القرن ١١ هـ) : وكتابه " المؤنس فى اخبار افريقيه وتونس " أعطانى معلومات وافية عن تاريخ الولاة فى بلاد المغرب وعن انتشار الاسلام بين البربر ، وكان اعتمادى عليه كبيرا فى البحث لما يحويه من أخبار قيمه .

٣ - ابن عذارى (ت ٦٩٥ هـ) : وكتابه " البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب " يعتبر من الكتب النفيسه فى تاريخ المغرب لما يحويه من معلومات مستفيضه وهو ينقل عن الامام الليث بن سعد ، كما ينقل عن الرقيق القيروانى وكان اعتمادى عليه كبيراً فى عامة مباحث الرسالة لسعة معلوماته . ولعل التواريخ التى يذكرها أقرب الى الصحة وقد أخذت بها تقريباً فى عامة بحثى .

٤ - المالكى (ت ٤٣٨ هـ) : وكتابه " رياض النفوس " من كتب الأعلام الهامة فى بلاد المغرب وقد استفدت منه كثيرا فى معرفة دور العلماء والفقهاء من التابعين وغيرهم فى نشر الاسلام فى بلاد المغرب . ومعلوماته فى هذا الصدد واسعة جدا وعلى قدر كبير من الأهمية . كما كان له فضل كبير فى وقوفى على اسماء كثير من المساجد التى أنشأها التابعون فى بلاد المغرب . ويعتبر كتاب رياض النفوس بحق درة كتب التراجم فى بلاد المغرب .

٥ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : إن الباحث فى تاريخ المغرب والأندلس لا يستغنى مطلقا عن كتاب " العبر " لكثرة معلوماته . ورغم ان كتاب العبر يفتقر الى الدقة وعدم الضبط فى كثير من الأحيان الا ان استفادتى منه كانت كبيرة وبالذات عن البربر وقبائلهم ونحلهم وعاداتهم وثوراتهم .

٦ - أبو العرب بن تميم القيروانى (ت ٣٣٣ هـ) : وكتابه " طبقات علماء

افريقيه وتونس " من نفائس كتب التراجم المغربية ، وكان جلّ اعتمادى عليه فى تراجم التابعين العشرة الذين بعثهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لبلاد المغرب . كما أمدنى بمعلومات وافية عن التابعين الذين دخلوا بلاد المغرب وأدوا دوراً محمودا فى نشر الاسلام بين البربر . هذا ولا غنى لباحث فى تاريخ المغرب فى صدر الاسلام عن هذا الكتاب .

٧ ـ ابن عبد الحكم (ت ٢٥٩ هـ) : وكتابه " فتوح مصر والمغرب " من الكتب التى اعتمدت عليها فى الحديث عن الفتح الاسلامى لبلاد المغرب وما صاحب ذلك من نشر الاسلام بين البربر .

٨ ـ السلاوى الناصرى (ت ١٣١٥ هـ) : يعتبر كتاب " الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " من الكتب المفيدة فى دراسة تاريخ المغرب لما يتميز به من الاسهاب والشمول فى سرد الأحداث . وقد أفادنى فى بحثى من جوانب متعددة ، فقد استفدت منه فى دور ولاة بنى أميه فى نشر الاسلام فى بلاد المغرب ، وفى معالجة ثورة البربر ، وفى اعتناق البربر لمبادئ الخوارج . والسلاوى ينقل عن المؤرخين الذين سبقوه من أمثال ابن خلدون وابن أبى زرع وغيرهما .

الى جانب هذه المصادر المغربية اعتمدت على بعض المصادر الشرقيه الرئيسيه وأهمها :-

٩ ـ الطبرى (ت ٣١٠ هـ) : وكتابه " تاريخ الأمم والملوك " من الكتب

التى لا يستغنى عنها الباحث فى التاريخ الاسلامى ، وقد أمدنى بمعلومات قيمة عن الخلفاء الأمويين وسياستهم فى بلاد المغرب وموقفهم تجاه ثورات البربر الخوارج . ويحوى كتابه نصوصا هامة ، وقد اعتمدت عليه فى نص شكوى البربر الخوارج للخليفة هشام ابن عبد الملك .

١٠- ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) : وكتابه " الكامل فى التاريخ " من الكتب الهامة لدارس التاريخ الاسلامى وعنه أخذت فى جميع مباحث الرسالة وبخاصة معلوماته عن ثورات البربر وأسبابها ونتائجها . والتواريخ التى يذكرها ابن الأثير للأحداث أقرب الى الصحة وبها أخذت فى كافة الحوادث تقريبا .

والى جانب هذين المصدرين الشرقين الرئيسيين هناك عدد كبير من المراجع الحديثة استفدت منها فى بحثى ، ومن أهمها :-

١ - كتاب تاريخ المغرب العربى للدكتور سعد زغلول عبد المجيد وهذا الكتاب يعتبر بحق موسوعة فى تاريخ المغرب ، ولقد غطيت منه جوانب كثيرة فى البحث كان أهمها ما يتعلق بثورات البربر الخوارج .

٢ - وكتاب المغرب الكبير ، العصر الاسلامى ، للدكتور السيد عبد العزيز سالم ، وهو من المراجع ذات الأهمية البالغة للتاريخ السياسى لبلاد المغرب . وقد أمدنى بمعلومات تحليلية مركزه عن ثورات البربر وجهود ولاة بنى أميه فى التصدى لها . وهذا الكتاب لا غنى

لأى باحث فى تاريخ المغرب عنه .

٧ - وكتاب " قادة فتح المغرب العربى " لمحمود شيت خطاب ، وهو جزءان : فى الجزء الأول يتحدث الكاتب عن قادة الفتح الذين قاموا بعبء فتح بلاد المغرب منذ سنة ٢١ هـ الى أن تكللت الجهود بخطة موسى بن نصير سنة ٨٩ هـ . وفى هذا الجزء يبحث الكاتب الموضوعات ويحللها تحليلاً مستفيضاً من الناحية العسكرية . وأما الجزء الثانى فيتحدث فيه الكاتب عن نشر الاسلام وحركة التعريب فى بلاد المغرب .

٤ - وكتاب " تاريخ المغرب الكبير " لمحمد على دبوز ، ويحوى معلومات واسعة مستفيضة أفادتنى فى جميع مباحث الرسالة ، من انتشار الاسلام وحركة التعريب الى انتشار مبادئ الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية فى بلاد المغرب الى أسباب ثورة الخوارج وسياسة الخلفاء الأمويين وجهودهم للقضاء عليهما . ولا أبالغ إن قلت إن هذا الكتاب يعتبر من أهم المراجع الحديثة فى تاريخ المغرب السياسى والاقتصادى والدينى .

٥ - وكتاب " نشأة الحركة الأباضية " للدكتور عوض خليفات . وهو من أهم المراجع التى اعتمدت عليها فى مبحث انتشار مبادئ الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية وفى ثورات أصحاب المذهب الأباضى فى عهد عبد الرحمن بن حبيب الفهرى . وهو كتاب مذهبى أكثر منه

تاريخى ويتميز بالبعد عن التحزب والعنصرية .

٦ ـ وكتاب " المجتمعات الاسلاميه فى القرن الأول الهجرى " للدكتور شكرى الفيصل وهو يتحدث عن المجتمعات الاسلامية فى هذا القرن وعن تعريبها لغوياً وجنسياً وفكرياً . وقد أمدنى بمعلومات واسعة عن حركة التعريب فى بلاد المغرب .

هذه هى أهم المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى استخراج المادة العلمية لرسالتى ، ويجد القارىء الكريم فى آخر الرسالة ثبتا مفصلا لكافة المصادر والمراجع التى رجعت اليها .

* *

التمهيد

أهمية دراسة أحوال بلاد المغرب
في زمن الولاة الأمويين .

استغرق الفتح الاسلامى لبلاد المغرب[1] حوالى سبعين سنة (٢١ - ٩٠ هـ) وهى أطول فترة فى أعمال المسلمين العسكرية .

كانت حملة عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ بداية الفتح الاسلامى لتلك البلاد ، وقد تمكن فيها من فتح القسم الشرقى لولاية طرابلس ، ثم أرسل الى الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يستأذنه فى فتح افريقيه (تونس) لكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رفض فكرة الفتح وأرسل اليه يقول : " انها ليست بافريقيه ولكنها المفرقه غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت "[2] . وأمام اصرار الخليفة فى عدم الاستمرار فى الفتح اضطر عمرو بن العاص الى الانصراف عن افريقية وعين قائده عقبة بن نافع الفهرى أميراً على البلاد التى فتحها[3] .

ثم لما كانت خلافة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بعث الخليفة عثمان بن عفان سنة ٢٧ هـ الى والى مصر - آنذاك - عبد الله بن سعد ابن أبى السرح جيشا لفتح افريقيه (تونس) فيه جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود . وكان يحكم افريقيه (جريجوريوس) ويسميه العرب

---

(١) يقصد بمصطلح بلاد المغرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر والتى تشمل شمال القارة الافريقية وتضم ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب أو مراكش كما يسميه البعض نسبة الى عاصمته الجنوبيه مراكش . (سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، مطبعة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ، جـ ١ ، ص ٦١) .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢٣٢ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، العصر الاسلامى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ - محمد علو بوز ، تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ط ١ ، جـ ٢ ، ص ٦ - ٨ .

جرجير ، كان عاملا عليها من قبل الامبراطور البيزنطى هرقل ثم خلع طاعة الامبراطور وبسط نفوذه من أطرابلس الى طنجه فأرسل عبد الله بن سعد الرسل الى الروم يدعوهم الى الاسلام فرفضوا فلم يكن هناك بد من اصطدام الفريقين فى معركة حربيه ، فالتقى الجيشان ـ الاسلامى والبيزنطى ـ فى معركة عظيمة قتل فيها جرجير على يد عبد الله بن الزبير وتمكن ابن أبى السرح من فتح افريقية ووصل حتى قفصه [١] . ثم عاد عبد الله بن سعد الى مصر بعد أن عقد صلحا مع أهل افريقيه مقابل مبلغ قدره مائة قنطار ذهب ولم يول ـ بطبيعة الحال ـ واليا ولم يتخذ للمسلمين مركزا [٢] .

وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان أرسل الخليفة معاوية بن أبى سفيان الصحابى الجليل معاوية بن حديج سنة ٤٥ هـ فى جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل لاعادة فتح افريقية وقد تمكن من فتح سوسه وجلولاء وبنزرت ، ثم عاد من بلاد المغرب سنة ٤٨ هـ اثر عزل الخليفة معاوية بن أبى سفيان [٣] .

ولما كانت سنة ٥٠ هـ عين عقبة بن نافع الفهرى واليا على افريقيه من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان وأرسل معه الخليفة عشرة آلاف مقاتل

---

(١) قفصه : بلده صغيرة فى طرف افريقية من ناحية المغرب بينها وبين القيروان ثلاثة أيام (ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، جـ ٤ ، ص ٣٨٢)

(٢) المالكى : رياض النفوس ، تحقيق حسين مؤنس ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥١م ، جـ ١ ، ص ١٧ ـ ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ـ السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ ـ ١٧٤ .

(٣) عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء ، جـ ١ ، ص ٧٦ ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ ـ ص ١٨٧ ـ محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربى ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ ، جـ ١ ، ص ٧٩ ـ ٨١ .

ورأى عقبة آنذاك ضرورة انشاء قاعدة عسكرية واستشار أصحابه فى ذلك واختاروا واديا اختط عقبه فيه المسجد ودار الاماره . كما شرع المسلمون فى تشييد المساكن وتعمير القيروان . وقد انتهى من تعميرها سنة ٥٥ هـ ، ويعتبر تأسيس هذه المدينة مرحلة فاصلة بين عهد الحملات الاستطلاعيه وعهد الفتح المنظم [(١)] .

وفى سنة ٥٥ هـ عزل عقبه بن نافع عن ولاية افريقيه لأمور غير واضحه تماما [(٢)] ، وعين الخليفه معاويه بن أبى سفيان أبا المهاجر دينار لولاية افريقيه . وقد تمكن ابو المهاجر - خلال ولايته - من فتح منطقة المغرب الأوسط ، واتخذ جزيرة شريك [(٣)] قاعدة اماميه لجنوده يرتكز عليها فى عملياته العسكريه وذلك سنة ٥٩ هـ . واستمر ابو المهاجر فى ولايه افريقيه الى أن عزله الخليفه يزيد بن معاويه سنة ٦٢ هـ وأعاد عقبه بن نافع الفهرى الى بلاد المغرب [(٤)] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ هـ ، جـ ٣ ، ص ٤٦٦ - على حبيبه : مع المسلمين فى الأندلس ، دار الشروق ، جده ، ط ٢ ، ص ٣٨ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ ، ٢٠٨ - محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٩٧-١٠٦

(٢) انظر تفاصيل هذا العزل فى : ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٣) جزيرة شريك : كوره بافريقيه بينها وبين القيروان مرحلة يحيط بها ماء البحر قصبتها بلدة باشوا (ياقوت : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ - ابن رسته : الأعلاق النفيسه ، مطبع بريل ليدن ، ١٨٩١م ، ص ٣٣٨)

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، ص ٢١٦ - محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ، ص ١٤١ .

وقام عقبه بن نافع بعدة حملات تمكن فيها من تطهير المغرب الأوسط من كل مقاومة معاديه ثم اتجه الى طنجه[١] . وفر البربر والروم الى الحصون والمعاقل وأوغل عقبه في السير حتى وصل الى مشارق سبته[٢] ، وكان حاكمها يسمى يليان (Julien) عقد عقبه معه صلحا وأقره على ولايته باسم الخليفه[٣] .

ثم استشهد عقبه سنة ٦٣ هـ اثر معركة حربية قامت بينه وبين زعيم بربري يدعى كسيله الأوربي رئيس قبيلة أوربه من البربر البرانس ودخل كسيله القيروان عاصمة المسلمين في بلاد المغرب .

وفي سنة ٦٥ هـ أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان الى زهير بن قيس البلوى[٤] وكان نائب عقبه على القيروان في غيابه واضطر الى التراجع نحو برقه عقب مقتل عقبه بن نافع ـ المال والرجال وأمره بتخليص بلاد المغرب من

---

(١) طنجه : مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء بينها وبين القيروان ألف ميل وبينها وبين سبته مسيرة يوم واحد (ياقوت : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٤٣) .

(٢) سبته : تقع على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس وهي مدينة حصينة ضاربة في البحر (ياقوت : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٨٢) .

(٣) عبد العزيز بنعبد الله : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٧ ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٤) زهير بن قيس البلوى له صحبه ويكنى ابا شداد شهد فتح مصر وقتل في برقه على يد الروم . (ابن حجر العسقلاني : الاصابه في تميز الصحابه ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨ ، جـ ١ ، ص ٥٥٥) .

الروم والبربر . فسار زهير سنة ٦٩ هـ بعد استكمال استعداده الى البربر الذين تجمعوا لقتال المسلمين والتقى الطرفان فى معركة داميه انتهت بهزيمة كسيلة ومقتله ودخول زهير بن قيس القيروان . ثم كانت نهاية زهير فى برقه على يد الروم الذين استمروا فى معاداتهم للمسلمين (١) .

وفى سنة ٧٤ هـ أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان لولاية بلاد المغرب وبعث معه جيشا كثيفا وتمكن حسان من القضاء على قوة الروم فى قرطاجنه (٢) . كما تمكن من القضاء على القوة الثانية فى بلاد المغرب والتى تتمثل فى الكاهنه زعيمة قبيلة جراوه ومعها كثير من البربر التبر . ثم عزل حسان بن النعمان عن ولاية المغرب سنة ٨٥ هـ بعد ان ترك كل أثر طيب للاسلام والمسلمين (٣) .

وفى أواخر سنة ٨٥ هـ عين موسى بن نصير لولاية المغرب ولما وصلها كانت أحوالها غير مستتبه اذ خرجت كثير من القبائل عن طاعة المسلمين بعد الهدوء والسكون الذى أحرزه حسان بن النعمان . ورأى موسى ابن نصير انه لا بد من ضربة قاسيه تقضى على جيوب المقاومه وتردع كل محاولة للخروج عن الطاعة (٤) .

---

(١) السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، جـ ١ ، ص ٩١ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ - ٢٤٠ .

(٢) قرطاجنه : مدينة قديمة بنواحى افريقية . وهى مدينة عظيمة شامخة البناء . (ياقوت : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٢٣) .

(٣) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٩٢ - محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ - ٢٥١ .

(٤) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣١ .

وأول عمل عسكري لموسى بن نصير كان استعادة المغرب الأدنى وجعل القيروان قاعدة أمينه ينطلق منها في فتوحاته . ثم قضى موسى على مقاومة القبائل الخارجه في المغرب الأوسط . وبعد ذلك وجه موسى اهتمامه لفتح المغرب الأقصى وتم له ذلك ولم يستعص عليه سوى مدينة سبته . وطلب البربر الأمان من موسى ودخلوا في الطاعة واعتنقوا الاسلام(١).

وبهذا غدا المغرب ولاية اسلاميه عربيه بعد جهاد دام فترة زمنية طويله .

ولا بد لنا هنا من وقفة نرى فيها نتائج ذلك الفتح على بلاد المغرب .

فكما هو معروف أن هدف الفتوح الاسلاميه كان نشر الدين الاسلامي وليس هدف استعلاء . فيذكر الشهيد سيد قطب - رحمه الله تعالى - أن : " الاسلام يستبعد من حسابه ان تقوم حرب أو أن يتم فتح بقصد سيادة عنصر أو تغليب جنس . . كذلك يستبعد الاسلام من حسابن ان تقوم حرب أو أن يتم فتح بقصد جر المغانم "(٢) . وهكذا فلم يكن هدف الفتوح الاسلامية التمكين لسيادة عنصر على عنصر . كما أن وسيلة الحرب ، لم تكن

---

(١) ابن قتيبه : الامامه والسياسة ، تحقيق : طه الزيني ، دار المعرفة ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ٥٤ - ٥٥ . ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٧٦ السلاوي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٩٦ - سعد زغلول عبد المجيد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ - ٢٤٣ - محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ - ٢٣٦ .

(٢) سيد قطب : دراسات اسلامية ، مطابع دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٣هـ ، ص ٣٨ .

فى الاسلام الا آخر الدواء ،فكانت تعاليم القتال فى الاسلام تنطوى على ثلاثة مبادئ أولها : الاسلام . وثانيها : الجزيه . وثالثها : الحرب [١] .

وكان قادة الفتح يقومون فور الفتح بانشاء المركز الأساسى للدعوة الاسلاميه وهو المسجد ، وكان جنود الفتح يحملون المصحف أولا ، والسيف ثانيا ، فكانوا بذلك دعاة فى الدرجة الأولى ، ومحاربين بالدرجة الثانية [٢] .

وقد أدت كل حملة من حملات المسلمين على بلاد المغرب دوراً محموداً فى نشر الاسلام وفى حركة التعريب هناك .

ففى حملة عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ تم فتح برقه وكسب قبيلة لواته ـ التى دخل بعض أهلها فى الاسلام ـ الى جانب المسلمين [٣] .

---

(١) عن سليمان بن بريده ، عن أبيه . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا أمر أميرا على جيش أو سريه ، أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا . ثم قال : " اغزوا باسم الله فى سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال (أو خلال) . فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ثم ادعهم الى الاسلام . فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين . وأخبرهم انهم ، ان فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين . فان أبوا ان يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين . يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين . ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء : الا أن يجاهدوا مع المسلمين . فان هم أبوا فسلهم الجزيه . فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . . . الخ " (مسلم : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث العربى ، ط١ ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م . جـ ٣ ، ص ١٣٥٧) .

(٢) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٣٦ .

كما كان لحملة قائده عقبه بن نافع الفهرى على قبائل نفوسه ولواته ونفزاوه ومقامه بينهم طيلة عشرين عاما أثر عظيم فى نشر الاسلام بينهم ، حيث أسلم قسم كبير منهم بينما ظل القسم الآخر ـ على دينه ـ صديقا للمسلمين (١) . ثم كانت حملة عبدالله بن سعد بن أبى السرح التى افتتح فيها تونس وشرق الجزائر ، وعمل على نشر الاسلام فى تلك المنطقة (٢) .

وفى ولاية معاوية بن حديج تستمر حركة الفتح ونشر الاسلام ، فقد تمكن ابن حديج من فتح بنزرت وسوسه و جلولاء ودخل الناس فى الاسلام عن قناعة ورضى نفس (٣) .

ثم كانت حملة عقبة بن نافع الأولى . وكان عقبه فى الحقيقه داعية شديد الايمان تتوق نفسه الى نشر الاسلام وليس لمجرد الفتوح والانتصارات العسكرية وما يتبعها بعد ذلك من مغانم وشهرة (٤) . ولقد تمكن عقبه بفضل جهاده من تطهير المنطقة الممتده مابين برقه والقيروان مما جعلهما أهلا لأن يقيم المسلمون بها مركزا عسكريا ، فكان بناء القيروان الذى اعتبر بمثابة نقطة تحول فى حركة الفتح الاسلامى لبلاد المغرب . اذ لم تكد

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٨٥٧م ، ص ١٠ ـ حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٦ ـ محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٤) محمد التنوخى ، عقبه بن نافع فاتح ليبيا والمغرب ، مكتبة قورنيا ، بنغازى ، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م ، ص ٢٧٣ ـ على حبيبه : المرجع السابق ، ص ٤١ .

مدينة القيروان تنشأ حتى ظهرت ولاية المغرب الاسلامية الجديدة[1] . وترتب على ذلك أن المسلمين لم يعودوا يخرجون من مصر الى بلاد المغرب للاغاره والعوده ، بل أصبح المسلمون ينطلقون من قاعدتهم العسكرية الجديده " القيروان " في جيوش منظمه للفتح[2] .

أضف الى ذلك ان انشاء عقبه لهذه المدينة أشعر جميع القوات المعاديه - من الروم وحلفائهم البربر - بقوة المسلمين . كما أن شخصية عقبه ذاتها اجتذبت كثيرا من الناس فأخذوا يقتربون من المسلمين ، وأسلم عدد كبير منهم وقد كان لاسلامهم أثر عظيم في تحويل بلاد المغرب الى الاسلام[3] .

ولا يخفى أن انشاء مثل هذه القاعدة الأمنيه في تلك المنطقة كفيل بأن يؤثر على الجماعات المجاوره التى اعتنقت الاسلام حديثا . يذكر الفرد بل : " وبفضل مسجد القيروان التى صارت أول عاصمه اسلامية في المغرب ، ويسهر عليها قادة عرب صادقو الايمان ، كان على سكانها (أى القيروان) ان يلتزموا بأداء فروض الدين ، والبربر البدو المقيمون في النواحى المجاوره وكانوا يغشون أسواق المدينة وكان في وسعهم أن يقتدوا بسيرة سكانها ، وأن يقدموا اليها ، لتلقى التعليم الديني فيها ليصيروا بعد ذلك مرشدين معلمين لبني عشيرتهم فيما يتعلق بتعاليم الدين "[4] .

---

(١) على حبيبه : المرجع السابق ، ص ٣٨ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ٣٩
(٢) على حبيبه : المرجع السابق ، ص ٣٨ .
(٣) على حبيبه : المرجع نفسه ، ص ٤١ .
(٤) الفردبل : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازى ، ١٩٦٩ ، ص ٩٤ .

ولقد أخذ الاشعاع العلمي والثقافي والحضاري يغمر بلاد المغرب منذ تأسيس القيروان [1] .

ومن الجدير بالذكر ان القيروان قد قامت - منذ تأسيسها - بنفس الدور الذى قامت به المدن الاسلامية الأخرى مثل : الكوفه والبصره فى العراق ، والفسطاط فى مصر ، حيث قامت تلك الأمصار بدور بارز فى تاريخ الفتح الاسلامى وفى التحولات الحضاريه ، مما استمر أثره الى اليوم [2] .

ثم بعد عقبه بن نافع كانت حملة أبى المهاجر دينار . ولعل مما يسترعى الانتباه فى شخصيته هو تلك المرونه ولين الجانب فى تعامله مع البربر أملا فى ضمهم الى أمة الاسلام . فبعد أن انتصر على كسيله بن لمزم عامله - وهو أسير - معاملة حسنه [3] جعلت ذلك النصرانى الشديد التعصب لنصرانيته يظهر الاسلام وقد أسلم أتباعه من بعده [4] .

كما قام أبو المهاجر بدور كبير فى نشر الاسلام فى المنطقة التى افتتحها فى المغرب الأوسط حيث مكث سنتين فى مدينة (ميله) يدعو البربر الى الاسلام [5] .

---

(١) محمد الفاضل بن عاشور : المحاضرات المغربيات ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، ص ٧ .
(٢) امين مدنى : الثقافة الاسلاميه وحواضرها ، مطابع الهيئة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٢١٨ .
(٣) السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٠ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .
(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩م ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

ومن أعماله البارزه فى تثبيت الفتح الاسلامى مصالحته لأهل قرطاجنه مقابل اخلاء جزيرة شريك التى أصبحت بمثابة قاعدة ثانية للمسلمين فى بلاد المغرب . وقد استهدف أبو المهاجر من ورائها أيضا اعطاء الفتوح الاسلاميه هناك صفة الاستمرار لترسخ به أقدام المسلمين فى المغرب ، وتكون بعد ذلك بلدا اسلاميا لا يقل عن البلاد الاسلاميه الأخرى فى أى ناحية من النواحى . كذلك استهدف أبو المهاجر من سياسته تلك أن لا يقتصر الفتح الاسلامى فى المغرب على مجرد غارات يكون نتيجتها بعض المغانم فقط دون النظر الى الكسب المعنوى الذى هو الهدف الأول للفتوح الاسلاميه [1] ، وهو نشر الاسلام فى أرجاء الأرض وبذلك يصبح الفتح الاسلامى ليس فتحا عسكريا فقط بل فتحا حضاريا بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، وبذلك يبقى أثره مع الزمن فى البلاد والعباد معا [2] .

ومن الواضح فى فتوحات المسلمين الأولى حتى حملة عقبه الثانيه (٦٢ - ٦٤ هـ) أن مقاومة الفتح الاسلامى لم تأت الا من جانب الادارة البيزنطيه وقليل من الأفارقه ، فى حين لم يكن للبربر دور بارز فى مقاومة الفتح الاسلامى ورجاله . ولعل ذلك يرجع الى ان البربر كانوا ينظرون الى الروم نظرتهم للمستعمر ولذلك اعتبروا الفتح الاسلامى هو فرصة خلاصهم من نير الروم ، فخلوا بين المسلمين وبين الروم ، ونظروا للمسلمين نظرتهم للمحرر أو المخلص لهم من الاستعباد الذى كانوا يعانونه

---

(١) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .
(٢) سيد قطب : دراسات اسلاميه، ص ٤٦ .

من الــروم [١] .

ثم كانـت حملـة زهـير بن قيس البلـوى الـتى اسـتعاد فيهـا سلطـان المسـلمين فـى القـيروان سـنة ٦٩ هـ [٢] ، وقضـى فيهـا علـى مقاومة البربـر البرانـس ، الذيـن كانـوا حـتى ذلـك الوقت لا يزالـون يحملـون لـواء المعارضـة ضـد المسـلمين ، يعاونهـم الـروم فـى ذلـك [٣] . ولما كان زهـير مجاهـدا مـن الدرجـة الأولـى فانـه ما فـتئ يدعـو ويحـارب فـى بـلاد المغـرب لنشـر الاسـلام والقضـاء علـى جيـوب المقاومه حـتى أنـه تـرك القيروان وهـى آمنـه [٤] .

والواقـع ان ثبـات الفتـح الاسـلامى فـى بـلاد المغـرب تـم علـى يـد حسان ابن النعمـان الـذى فتـح قرطاجنـه سـنة ٧٤ هـ ، ثـم قضـى علـى مقاومة قبيلـه جـراوه من البربـر وزعيمتهـم الكاهنـه فى جبـل أوراس . ولا شـك أن انشـاء لمدينـة تونس كان لـه أثـر كبـير فى توطيـد أركـان الدولـة الاسـلامية .

كما أن حسـان منـح البربـر المسـلمين حـق المسـاواه الكاملـه مـع العـرب والـتى كـان من أهـم مظاهرهـا اشـتراك البربـر فى جيـش الفتـح ومنحهـم حقهـم المشـروع فى العطـاء وفى قسـمة الفىء [٥] . فلـم يكـن العـرب حكامـا والبربـر محكومين بـل سـاوى الاسـلام بينهـم فى الحقـوق والواجبـات . وكـان هذا الوضـع يختلـف تماما عمـا اعتـاد عليـه البربـر من سياسـة الأمـم الـتى حكمتهـم قبـل

---

(١) محمود شيت خطاب : الـرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٧ .
(٢) السـلاوى : المصدر السابق . جـ ١ ، ص ٩١ .
(٣) محمود شيت خطاب ، الـرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
(٤) السلاوى : المصدر السابق . جـ ١ ، ص ٩١ .
(٥) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .

المسلمين من رومان وبيزنطيين[(١)] .

وأنشأ حسان قصرا جديدا له ، كما أقام مساجد فى المدن والقرى المغربيه وعين فيها الفقهاء للصلاة وتحفيظ القرآن وتعليم البربر مبادىء الاسلام وتفقيههم فى مسائل الدين[(٢)] .

كذلك لا يجب اغفال أثر حسان فى حكمه على أرض المغرب حيث اعتبرها مفتوحه صلحا لا عنوة[(٣)] . وهذا يعنى اقرار البربر على ما فى أيديهم من الأراضى ، وكان ذلك عاملا هاما فى اقبال البربر على الدخول فى الدين الاسلامى .

ولما كانت الدواوين تغلب عليها كتابه من يحكم البلاد ، فان من المؤكد ان الدواوين التى كانت فى المغرب فى العصر البيزنطى كان التدوين فيها باللغة اليونانية لتسلط الروم على البلاد وحكمهم لها .

فلما بدأت مرحلة استقرار المسلمين الفعليه فى بلاد المغرب فى عهد حسان بن النعمان قام بتنظيمات شملت نواحى العمران والادارة المالية

(١) محمود شيت خطاب : نفس المرجع والجزء والصفحة .
(٢) محمد على دبوز : المرجع السابق ،جـ ٢ ،ص ١١١ ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ،ص ٢٥٠ .
(٣) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ٢ ،ص ١٧١ ـ محمد على دبوز : المرجع السابق ،جـ ٢ ،ص ٢٠١ .

وغيرها ، وقد أشار الى ذلك ابن عبد الحكم بقوله : " فنزل موضع قيروان افريقيه اليوم وبنى مسجد جماعتها ، ودوّن الدواوين ، ووضع الخراج على عجم افريقيه " (١) .

على أنه ليس هناك مايثبت قيام تلك النظم على التعريب منذ البدايه ، لكن الراجح هو تعريب ما أنشأ من دواوين منذ البدايه ، ثم كان تعريب تلك التى كانت موجوده من قبل ، وذلك لأن ولاية حسان بن النعمان كانت فى عهد الخليفه عبد الملك بن مروان ، ولا بد انه التزم بقرارات الخليفه فقام بتعريب الدواوين القديمه فى ولايته ببلاد المغرب ، وأنشأ الحديثه منها على أساس التعريب وبهذا جاءت تنظيمات حسان بن النعمان تنفيذا لسياسة تعريب الدواوين التى قررها الخليفه عبد الملك بن مروان (٢) .

ونظرا لسياسة الخليفه عبد الملك بن مروان القاضيه بتعريب النقود التى تتداولها كافة الشعوب الاسلاميه حتى لا تدور فى فلك النقود البيزنطيه أو الفارسيه أو ترتبط بأسعارها وأوزانها (٣) ، اهتم حسان ابن النعمان بدار الضرب (دار سك العمله) التى كانت فى قرطاجنه ، فضرب النقود فى بلاد المغرب وفق السياسه التى رسمها الخليفه عبد الملك بن مروان

---

(١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٧١ .
(٢) فرج محمد الهونى : النظم الادارية والماليه فى الدولة العربية الاسلامية ، مطابع الثورة ، بنغازى ، ليبيا ، ١٣٩٦ هـ ، ص ٢١٠ ، ص ٢١١ .
(٣) عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٥ .

فـى المشـــرق[1] .

وفـى مجـال العمـران انشـأ حسـان بن النعمـان مدينـة تونـس بعـد استشارته الخليفـه عبد الملك بن مروان فـى هـذا الأمر وقـد أمده الخليفه عبد الملـــــك بعمـال وصنـاع من مصـر لهـم علـم واسـع وخـبره فى أعمـال البحريـه . واستهـــدف حسـان بن النعمـان من بنـاء مدينـة تونس ودار صناعتهـا ان تكون قاعده بحريـه للمسلمين ، ونافذه جديده تطـل منهـا بـلاد المغـرب على العالـم الخارجـى وتحـل محـل قرطاجنـه[2] . كمـا يـدل عملـه هـذا علـى رغبتـه فى انشـاء مـــدن تأخـذ الطابـع الاسـلامى ، كمـا هـى سـنة الفاتحـين المسـلمين فـى كل مكـان ، وكمـا فعـل عقبـه بن نافـع حـين انشـأ القـيروان .

ويرجـع الـى حسـان بن النعمـان الفضـل فـى جعـل اللغـة العربيـة لغـــة رسـميه فـى بـلاد المغـرب[3] . بحيث أصبحـت هـى لغـة المكاتبات الصـــادرة منهـا . وخصـص لكـل من الوظائـف الرئيسـيه فـى الدولـه ديوانـا وفـرض لـــــــه حاجتـه من الموظفـين القائمين بأمـره . ومنهـا ديـوان الخـراج وديـوان الجنـــد وديـوان الرسـائل[4] .

والـى حسـان بن النعمـان أيضـا يرجـع الفضـل فـى تنظـيم بـلاد المغـــرب

---

(١) سـعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
(٢) سـعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .
(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية ، تونـس ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٦م ، ص ٦٢ .
(٤) فرج محمد الهونى : النظم الادارية والماليه ، ص ٢١١ .

اداريا لأول مره حسب التخطيط الاسلامي بحيث صبغ البلاد بالطابع الاسلامي ، فقد قام بتقسيم الأراضي بين قبائل البربر ، وعين لكل قبيله خطتها ، وأمرها بزراعة أراضيها على أن تدفع زكاتها لبيت مال المسلمين[(١)] وعين على الزكاة حنش بن عبدالله الصنعاني [(٢)] .

ثم تأتي المرحلة الحقيقيه التي أرست قواعد الاسلام في بلاد المغرب ونعني بها ولايه موسى بن نصير . فقد تمكن موسى من اعادة فتح المغرب الأوسط وافتتح المغرب الأقصى واتخذ خطه شديده بعد أن أدرك أن تأمين عمليه تحويل المغرب الى ولايه اسلاميه صرفه ، وتأمين الوجود الاسلامي فيها يتطلب ذلك[(٣)] . وقد رأى أن سياسة المهادنه مع البربر لن تفلح لأنهم يثورون من حين لآخر ، وبهذا لم يكن أمامه الا أن يلجأ - ولو بعض الوقت - الى أخذ البربر بشيء من الحزم والشده . فكانت سياسة القوة تلك بمثابة الاعلان بأن عهد المهادنة انتهى وأنه لا مجال للخروج والعصيان بعد ذلك[(٤)] .

ثم كان فتحه للأندلس عاملا قويا في القضاء على الفتن وثورات البربر

---

(١) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٣ .
(٢) حنشن بن عبدالله الصنعاني : هو أبو رشيد حنش بن عبدالله الصنعاني غزا المغرب مع رويفع الانصاري وشهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير ، له آثار ومقامات بأفريقيه . (المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٧٨) .
(٣) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .
(٤) محمود شيت خطاب : نفس المرجع والجزء والصفحة .

للخروج عن طاعة المسلمين وفى هذا الصدد يقول السلاوى : "ارتدت البربر اثنى عشرة مرة من طرابلس الى طنجه ، ولم يستقر اسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر الى الأندلس وأجاز معه كثير من رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هناك فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه وتناسوا الرده "(١) .

ولقد بذل موسى بن نصير جهودا جباره لنشر الاسلام فى بلاد المغرب فبعد أن تم له فتح المغرب الأقصى أقام مولاه طارق بن زياد على طنجه وما والاها وترك معه سبعة عشر رجلا من العرب يعلمون البربر القرآن وشرائع الدين الاسلامى ، فتم بذلك اسلام أهل المغرب الأقصى على يد هؤلاء(٢) .

كما أرسل موسى بن نصير المعلمين الى السوس الأقصى وحول الكنائس فيها الى مساجد ، فجعلها مراكز للتحصيل العلمى والدينى . وينسب الى موسى بن نصير تأسيس مسجدى تلمسان وأغمات هيلانه(٣) .

كما أمر العرب ان يعملوا على تعليم البربر القرآن وأن يفقهوهم فى الدين(٤) . حرصا منه على تثبيت الاسلام فى نفوسهم وجعلهم مسلمين قلبا وقالبا .

وكانت سياسة موسى الحكيمه فى عدم التفرقة بين العرب والبربر

---

(١) السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .
(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢ .
(٤) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .

المسلمين باسناد الوظائف الى الأكفاء منهم أن جعلت من البربر سندا قويا للعرب وجعلت منهم فاتحين يسيرون جنبا الى جنب مع اخوانهم العرب للفتح . ولعل فى تولية طارق بن زياد البربرى الأصل أخطر المناصب القيادية خير دليل على عدم تفرقة موسى بن نصير بين المسلمين من بربر وعرب [1] .

كما قرر موسى بن نصير ان يجعل سكان بلاد المغرب أمة واحدة تدين بأكلها للاسلام وتكون لغتها اللغة العربية ، وابتدأ بتنفيذ هذه الخطه بأن أعتق جميع من اختص به من الأسرى بعد أن دانوا بالاسلام ، وتلا ذلك بأن أسكن كثيرا من قبائل العرب تلك الممالك التى فتحها [2] . فكان موسى بن نصير بعمله هذا أول من وضع الحجر الأساسى لنزوح كثير من قبائل العرب الى بلاد المغرب .

وفى المجال الادارى عين موسى بن نصير عبد الرحمن بن رافع التنوخى قاضيا على القيروان وهو أول من استقضى بها من المسلمين [3] .

وأخيرا يمكن القول أن أسلمة المغرب ودخوله فى بوتقة الاسلام ومن ثم تعريبه قد بدأ منذ حملة المسلمين الأولى على بلاد المغرب سنة ٢١ هـ ثم أخذ البناء الاسلامى لهذه البلاد يزداد تدريجيا مع كل حملة من

---

(١) محمود شيت خطاب : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩١ .
(٢) محمود نصير بك : أبطال الفتح الاسلامى ، مطبعة خلف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ص ٩٣ .
(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٢ .

الحملات بحيث لم يترك موسى بن نصير بلاد المغرب ـ حين استدعاه الوليد بن عبد الملك ـ بعد أن عين ابنه عبد الملك على طنجه وابنه عبد الله على افريقيه سنة ٩٦ هـ [١] الا وكانت بلاد المغرب تحمل السمت الاسلامى والطابع العربى .

* *

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ .

الفصل الأول

ولاة بني أمية في بلاد المغرب
(٩٠ - ١٣٢ هـ)

١) سياسة ولاة بني أمية ازاء البربر وجهودهم في نشر الاسلام بينهم .

٢) استمرار حركة التعريب في بلاد المغرب .

(١) سياسة ولاة بني أمية ازاء البربر وجهودهم في نشر الاسلام بينهم

ولاية محمد بن يزيد القرشي (٩٧ - ٩٩ هـ) :

كان موسى بن نصير قد عين ابنه عبد الملك على طنجه وابنه عبد الله على افريقيه[١] عندما عاد الى المشرق بناء على استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك له . وفي رأى آخر ان موسى بن نصير عين ابنه عبد الله على افريقيه وطنجه والسوس وأنه اصطحب معه ابنه عبد الملك الى المشرق[٢] . ومهما يكن الأمر فان بلاد المغرب كان يحكمها عبد الله ابن موسى بن نصير بعد عودة والده الى المشرق ، ولم يكن الخليفة سليمان بن عبد الملك راضيا عن سياسته القائمة على القوة والعنف والتسلط في معاملة البربر[٣] .

لذلك عين الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧ هـ محمد بن يزيد القرشي واليا على بلاد المغرب وكان ذلك بمشورة رجاء بن حيوه وأوصاه بتقوى الله وحسن العمل[٤] . كما أمره بالقبض على عبد الله بن موسى ابن نصير ومصادرة أموال آل موسى بن نصير[٥] .

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ .
(٢) ابن قتيبه : الامامه والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٨٦ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨ .
(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .
(٥) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ .

ولقد أثبت محمد بن يزيد جدارته فى حكمه لبلاد المغرب لما يتمتع به من صفات عديده ، فقد كان حسن السيره ، رفيقا بالرعيه ، لينا فى غير ضعف ، وقويا فى غير عنف فأحبه البربر وأقبلوا عليه وخضعوا له [١] .

وكان من أهم مايميز محمد بن يزيد رغبته الشديده فى نشر الاسلام بين البربر الذين لم يكن قد اكتمل اسلامهم بعد ، فتحمل أعباء نشر الاسلام بينهم بكل جديه وقوة ورفق أيضا ، وعرف كيف يعامل البربر بالطريقة التى يفضلونها ويميلون اليها حيث جعل لهم قدرا وأظهر لهم الود والاحترام فسارعوا الى اعتناق الاسلام [٢] .

كذلك قام بقتال المخالفين بثغور المغرب [٣] ، فبعث السرايا الى هناك فغنم وسبى [٤] . وكان نزيها فى توزيع الغنائم فما أصاب من غنيمة فى الحرب وزعه على جنده دون أن يجعل لنفسه شيئا منها [٥] . فضرب بذلك أروع مثل للنزاهة والبعد عن الدنيا وزخرفها . وكان لسلوكه هذا اثر عميق فى كسب أفواج جديدة من البربر للاسلام [٦] . فزاد الطابع

---

(١) محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير / ٢ ، ص ١٧١ .
(٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١٠٠ - محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .
(٣) ثغور المغرب : الثغر هو كل موضع قريب من أرض العدو وكأنه مأخوذ من الثغره ، وهى الفرجه فى الحائط والمقصود بثغور المغرب وقتذاك هى تلك الواقعة على حدود الصحراء الكبرى . (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٧٩)
(٤) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .
(٥) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقيه والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، مطبعة رفيق السقطى ، تونس ، ص ٩٣ .
(٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ .

الاسلامي لبلاد المغرب وضوحا بهذه السياسة الحكيمة .

واذا كانت غالبية البربر نتيجة لهذه السياسة قد اعتنقت الاسلام ، فقد كانت هناك طوائف من الروم لا زالت على المسيحية ، لكن هؤلاء الروم كانوا بمثابة أجانب في وسط هذا المجتمع الاسلامي الجديد ، وهو مجتمع انصهر بمجموعه في بوتقة الاسلام . صحيح ان هذا المجتمع لم يكن قد وصل بعد الى مرحلة الفهم الكامل للاسلام ، لكن كان في سلوكه وتحركاته يتلمس الالتزام بمبادئ الاسلام وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام بكل دقة .

ولعل مما أفاد في تحويل هذا المجتمع الى مجتمع اسلامي سياسة الحزم - وليس الاكراه - لان القواد من أمثال موسى بن نصير استعملوا الى جانب القوة والحزم سياسة الترغيب والاستمالة . ولعل في اشراك البربر في جيوش الفتح أكبر دليل على ذلك ، وهذه الظاهرة بدأت قبل ولاية موسى بن نصير ولكنها كانت في ولايته شديدة الوضوح وعظيمة الأثر (١) .

كما قام محمد بن يزيد بفتح المناطق الداخلية من المغرب الأقصى فأدى بذلك دورا رائعا في نشر الاسلام هناك (٢) .

لكن عهد الوالي محمد بن يزيد لم يدم طويلا ، فبعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز (٣) . ولم

---

(١) علي حبيبه : مع المسلمين في الأندلس ، ص ٤٣ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ .
(٣) السلاوي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠١ .

تعطنا المصادر أية معلومات حول أسباب عزل محمد بن يزيد من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز . ولعل السبب فى ذلك يرجع الى أن بلاد المغرب كانت آنذاك بحاجة الى وال له علم ودراية بمقاصد الشريعة وغاياتها ، ذلك ان اسلام أهل المغرب لم يكن عن فهم تام للأمور الشرعية ، وربما يكون الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قد رأى حاجة أهل المغرب الى وال على شاكلة اسماعيل بن عبيد اللن بن أبى المهاجر دينار .

وتعتبر خلافة عمر بن عبد العزيز رحمة على الأمة الاسلاميه فى تلك الفترة من الزمن وبعد أن عصفت الأهواء بالخلفاء والأمراء فانحرفوا عن الجاده وأثاروا العصبيه فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز راح ينظر فى الأمور بعين وبصيرة شملت رؤيتها أمصار العالم الاسلامى ، فكان ماقام به من عزل وتولية متحريا فيه دائما مصلحة الأمة فوضع من هو أهل للمسؤولية فى كل مكان[1] .

فكان أول عمل قام به عمر بن عبد العزيز هو عزل الولاة الذين لا تتوفر فيهم سمات الصلاحية ، وعين آخرين أكثر ايمانا ورعاية لمصالح الرعية[2] .

---

(١) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م، ص ١٥٦ .
(٢) عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ١٥٥ .

كما أمر ولاته على الأقاليم بعدم تولية غير المسلمين أية مناصب في الدولة الاسلامية . فقد أورد ابن الأثير كتابه - في هذا الصدد - الى جميع عماله والذى جاء فيه : "أما بعد فان الله عز وجل ، أكرم بالاسلام أهله ، وشرفهم وأعزهم ، وضرب الذله والصّغار على من خالفهم ، وجعلهم خير أمة اخرجت للناس ، فلا تولّين أمور المسلمين أحدا من أهل ذمتهم وخراجهم فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله ، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى ، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم ومع هذا فلا يؤمن غشهم اياهم ، فان الله عز وجل يقول ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾[1] و ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[2] والسلام[3].

ولعل من الأمور التى أراد أن يسد ثغرتها انه رفع أجر الوالى الى ثلثمائة دينار سنويا ليحقق له الكفاية فى حين لم يفرض لنفسه سوى درهمين كل يوم[4].

كما حرم على العمال قبول الهدايا حتى لا تكون بابا للدخول فى الرشاوى من قبل ذوى الحاجات . وقام أيضا بالغاء هدايا أعياد النوروز

---

(١) سورة آل عمران : آية (١١٨) .
(٢) سورة المائدة : آية (٥١) .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ٦٦ .
(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق أحمد عبيد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٧م ، ص ٤٦ .

والمهرجان الفارسيه [1] .

على أن أعظم اصلاح قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز فى الناحية المالية كان اعفاء كل من أسلم من أهل الذمة من الجزية [2] .

والواقع أنه بعد ان اتسعت رقعة الدولة الاسلامية شرقا حتى حدود الصين وغربا حتى المحيط الأطلسى فى أواخر القرن الأول الهجرى أعقب ذلك توقف حركة الفتوح وترتب على ذلك قلة أموال الغنائم ، وفى نفس الوقت ازداد دخول أهالى الأمصار المفتوحة فى الاسلام وتبع ذلك اعفاءهم من الجزية وهذا يعنى قلة موارد الدولة المالية [3] . وقد حدث هذا فى الوقت الذى أخذت الدولة فيه بأسباب التحضر فاتخذت الجيوش النظامية التى استقرت فى كل مصر من الأمصار المفتوحة ، وعربت الدواوين ، الأمر الذى زاد فى أعباء الدولة المالية فصارت الدولة بحاجة الى أموال كثيرة عن ذى قبل . كما كانت الدولة بحاجة الى الأموال لتسكين الفتن وتدعيم الأمور بها وسد حاجات الخلفاء التى أخذت تتزايد وتتعاظم مع التطور الحضارى للدولة كما كانت بحاجة الى تقوية سلطانها بكسب رؤوساء

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١م ، جـ ٦ ، ص ٥٦٩ .

(٢) أبو يوسف : الخراج ، اعتمادا على طبعة بولاق ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٣٠٢ هـ ، ص ١٣١ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ .

القبائل واستمالتهم لضمان تأييد هم ففرضت لهم اعطيات جمة [(١)] .

ولذلك أجبرت الدولة الأمويه الداخلين حديثا فى الاسلام على الاستمرار فى دفع الجزية أو الخدمة فى الجيش دون أخذ العطاء ، بل وطلبت منهم كمسلمين جدد اثبات صحة اسلامهم ثبوتا قاطعا بالختان واقامة الشعائر الدينية [(٢)] .

وذكر أبو عبيد أن بنى أمية لم يسقطوا الجزية عمّن أسلم على اعتبار أن الجزية بمنزلة الضرائب على العبيد فلا يسقط اسلام العبد عنه ضريبته [(٣)] . كما رأى بعضهم أن الناس انما يسلمون فرارا من الجزية فلم يرفعوها عنهم [(٤)] . وقد يكون ذلك من باب الغيرة على الاسلام ، على انه ينبغى أخذ الأمور بالظاهر لأن الباطن أمره الى الله تعالى ولو على اعتبار انهم من المؤلفة قلوبهم . وابن تيمية يرى أن المؤلفة قلوبهم قسمان : كافر ومسلم ، فالكافر ترجو من وراء حسن معاملته اسلامه ، والمسلم ترجو من وراء التعاطف معه والاحسان اليه حسن اسلامه وزيادة ايمانه [(٥)] .

---

(١) فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ١٩٣ - ثابت اسماعيل الراوى : العراق فى العصر الأموى ، مكتبة النهضة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥م ، ص ٥٨ - محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص ١٦٠ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ .

(٣) أبو عبيد : الأموال ، تحقيق محمد خليل الهواس ، دار الشباب للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١ هـ ، ص ٥٠ .

(٤) أبو عبيد : الأموال ، ص ٥٠ ، حاشية رقم (٦) .

(٥) ابن تيمية : السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٩م ، ص ٥٥ .

ولهذا نرى فى سياسة عمر بن عبد العزيز الحكيمة ، رفع الجزية عن أسلم تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى ، واتباعا لسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وتمشيا مع سياسة الخلفاء الراشدين .

كما اهتم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، بمعاملة الموالى وجعلهم سواء بسواء مع اخوانهم العرب المسلمين ، وولاهم مناصب فى الدولة ، وكان يسمع شكواهم ويزيل الأذى عنهم . يروى عنه انه جاءه وفد من خراسان مكون من عربيين ومولى . وتكلم العربيان والمولى ساكت . فلاحظ أمير المؤمنين عمر ، رضى الله عنه ، صمته ، فتلفت اليه سائلا : أما أنت من الوفد ؟ قال بلى . قال عمر : فما يمنعك من الكلام ؟ قال يا أمير المؤمنين : عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا عطاء ورزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج ، وأميرنا [1] عصبى جاف يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم حفيا وأنا اليوم عصبى ، والله لرجل من قومى أحب الىّ من مائة غيرهم . فقال عمر بارتياح : مثلك فليوفد [2] . وما لبث عمر أن عزل الوالى السابق وعين آخر مكانه بسرعة ونفذ حكمه ارضاء للموالى الذين لم ينعموا بالمساواة الحقة الا فى عهده ، رضى الله عنه [3] .

---

(١) كان أمير خراسان آنذاك هو الجراح بن عبد الله (الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٥٨) .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٥٩ .

(٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٦٠ .

اسماعيل بن عبيد الله بن ابى المهاجر دينار[1] والتابعون العشرة :

كانت ولايته سنة ٩٩ هـ أو سنة ١٠٠ هـ . وقد أحسن الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز فى اختياره ، اذ كانت بلاد المغرب آنذاك تعانى من قصور فى فهم الأمور الشرعيه . ولما كانت نظرة الخليفة عمر بن عبد العزيز لا تخيب فى وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب كان اختياره لاسماعيل ابن عبيد الله فى ولاية المغرب ، كما أن بعد بلاد المغرب عن مقر الخلافة جعله يختار هذا الرجل الورع التقى الذى يعمل لله لا لنفسه ، والذى يرى الامارة تكليفا لا تشريفا[2] .

ولقد صدق حدس الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فقد قام واليه اسماعيل ابن عبيد الله بالأمانة خير قيام فلم يقصر هذا الوالى الفقيه فى رعاية المهمة التى أنيطت به ، ولا غرو فقد كانت له صفات تؤهله لهذا الدور . فالى جانب ورعه وتقواه كان حازما حكيما حسن التدبير ، وهى صفات ورثها من جده المجاهد البطل أبى المهاجر دينار[3] .

---

(١) هو حفيد البطل أبو المهاجر دينار ، كان فقيها زاهدا ومن علماء الشاميين الكبار ، وهو مؤدب آل عبد الملك بن مروان ، روى عن أنس وأم الدرداء وعبد الله بن عمرو وغيرهم . وروى له البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه . (انظر : الدباغ : معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، تحقيق ابراهيم شبوح ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، جـ ١ ، ص ٢٠٣) .

(٢) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٣ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ .

وقد بعث معه الخليفة عمر بن عبد العزيز كتبا ليقرأها على البربر ، يدعوهم فيها الى الاسلام والدخول فيه " فقرأها اسماعيل عليهم في النواحي فغلب الاسلام على ذلك "[1] .

وقد استطاع اسماعيل بن عبد الله أن يحدث نقلة كبرى في بلاد المغرب لا في الناحية الدينية فحسب ، بل وفي العمران ، والزراعة والتجارة أيضا . فلقد أعطى المغرب اهتمامه من جميع النواحي ، وهذه سياسة الحكمة وسياسة العدل في الرعية ، الأمر الذي أدى الى نشاط في الزراعة وازدهار في التجارة فعمرت الأسواق وازدهرت البلدان[2] .

أما في مجال الدعوة الى الاسلام فقد أعطى اهتماما بالغا للمساجد فأسس كثيرا منها وأقام فيها الفقهاء للوعظ والارشاد[3] .

وفي مجال الجهاد لنشر الاسلام كان له دور كبير في ذلك المضمار ، اذ وضع خطة استهدف منها تطهير بلاد المغرب من بقايا الروم الذين يبثون الدعاية ضد الاسلام . كما كان له الفضل في انتشار الاسلام في الجهات النائية البعيدة ، وهو أول من دخل البلاد البربرية المستعصية وبث فيها الاسلام[4] .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، سنة ١٩٥٦ ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

(٢) محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٤) محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

وحرى بنا أن نقول أن عهد اسماعيل بن عبيد الله فى بلاد المغرب كان عهدا ذهبيا نعم المسلمون فيه بالعدل والمساواة فى المعاملة ، كما نعم فيه البربر بنمو الوعى الاسلامى اذ عمل على تربيتهم وصياغتهم من جديد فى بوتقة الاسلام فوصلوا الى مرحلة الفهم للمقاصد الشرعية وغاياتها وحلالها وحرامها ، كما قوّم سلوكهم وعاداتهم ، ومما ينسب اليه فى هذا الصدد نجاحه فى ابطال عادة شرب الخمر التى كانت سائدة قبل دخول الاسلام الى المغرب واستمرت الى مابعد الفتح الاسلامى فى بعض مناطق لم يكن يعرف أهلها تحريمها . ولقد أدى جهاده فى طول البلاد وعرضها الى أن دخل جميع البربر فى الاسلام بحيث " لم يبق فى ولا يته يومئذ من البربر أحد الا أسلم " (١) . ولم يكن ذلك يتيسر لاسماعيل ابن عبيد الله لولا حرصه الشديد على الالتزام بالتعاليم الاسلامية فى كل أمور الدنيا والآخره والا " لما تم اسلام عامة البربر " (٢) . وبهذا يتضح ان اسماعيل بن عبيد الله لم يكتف فى عمله بنشر الاسلام على مجرد الحصول على النطق بالشهادتين ، وانما حرص على رعاية من أسلم وتعليمهم أمور الحلال والحرام وبث ثقافة الاسلام فيهم (٣) . ولقد كان لعلمه ودرايته بأحكام الشرع الحنيف ماجعله أهلا لأداء تلك الرسالة العظمى ، ولا عجب

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء . تحقيق وتعليق : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٣م ، جـ ٢ ، ص ٣٣٥ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٨٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان . جـ ١ . ص ٤٨ - الدباغ : معالم الايمان ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

فقد " كان فاضلا خيرا على قوم من أرسله " [1] .

أسباب سرعة انتشار الاسلام في بلاد المغرب :

وكان انتشار الاسلام بسرعة كبيرة في بلاد المغرب في القرن الأول الهجري ـ لا سيما في عهد الوالي اسماعيل بن عبيد الله ـ أمرا استرعى انتباه المستشرقين فأصبح من القضايا الهامة والجديرة بالمناقشة والبحث . ولقد عبر كل فرد من أولئك عن تعليله لهذه السرعة برأيه الشخصي ، فمنهم من يرى أن سرعة الانتشار انما ترجع الى تعصب المسلمين ووسائل الضغط والاكراه التي باشروها ضد أبناء الشعوب المفتوحة . ومن أمثال هؤلاء المستشرق تيوفانيس الذي يقول : " حرم عمر (يقصد عمر بن عبد العزيز) النبيذ في المدن وأكره النصارى على الدخول في الاسلام ، وكان من فعل ذلك رفع عنه الجزية ، أما من لم يفعل فانه قتلهم " [2] وكذلك المستشرق ديل (Diehl) الذي يزعم ان عمر ابن عبد العزيز أمر الكاثوليك في افريقية أن يدخلوا في الاسلام أو أن يرحلوا عن البلاد [3] .

في حين نرى المستشرق توماس ارنولد يرفض تماما فكرة الاكراه والضغط

---

(١) ابن أبي الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تحقيق لجنة الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ١٠٩ .

(٢) يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية . تعريب وتعليق : محمد عبد الهادي أبو ريده . نشر لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢٨٩ .

(٣) يوليوس فلهوزن : المرجع نفسه ، ص ٢٨٩ ، حاشية رقم (٢) .

ان يقول : لا يصح اعتبار تدهور الكنيسة في بلاد المغرب دليلا على الاكراه لأنه لا يوجد مايثبت ذلك . كما أن وجود أهالى مسيحيين حتى نهاية القرن السابع الميلادى فى ظل الحكم الاسلامى فى بلاد المغرب أكبر دليل على انعدام وسائل العنف والاكراه فى التحول الى الاسلام بالاضافة الى أن استمرار وجود أربعين كنيسة بعد الفتح الاسلامى بحوالى ثلثمائة سنة يدحض كل فرية على الاسلام وأهله (١) .

والبعض الآخر يعلل سرعة انتشار الاسلام لما يتمتع به من خصائص وتعاليم بسيطة ومبادىء عظيمة وسمعة حسنة تسبقه الى البلاد المفتوحة (٢) .

والواقع أن أهل المغرب نظروا فيما ترسب بهم من عادات الوثنية ، وبقايا الديانات الأخرى المحرفة ، فلم يجدوا فى ذلك شفاء غلتهم فأخذوا يتطاولون بأعناقهم الى الدين الجديد الذى جاء به الفاتحون ، فرأوه موفيا بأغراض الحياة ومآربها ضامنا لمصالح البشر فى المعاش والمعاد (٣) . ولعل مما ساعد على سرعة انتشار الاسلام فى بلاد المغرب مشاركة من أسلم من البربر فى فتح الأندلس ، ونجاح هذا الفتح فى اغراء المتخلفين منهم ، وكذلك كون المغرب أضحى مجازا للمسلمين فى

---

(١) توماس أرنولد : الدعوة للاسلام . ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، اسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة . القاهرة . الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٠م ، ص ١٤٤ الى ص ١٤٩ .

(٢) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، تعريب : عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٥٠٦ .

(٣) محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربى ، جـ ٢ ، ص ١٧٤ .

الأندلس مما ساعد على التمكين للصلات والتبادل بين المسلمين عربا وبربرا[1].

على أن ولاية اسماعيل بن عبيد الله لم تطل ، فما أن تولى يزيد ابن عبد الملك الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة ١٠١ هـ حتى عزله عن ولاية المغرب . لكن نشاطه استمر في مجال الدعوة فيما بعد حيث ظلت جلسات العلم تعقد في المساجد وظل اسماعيل بن عبيد الله حركة دائبة في الدعوة الى الاسلام في بلاد المغرب ، وقد أصبحت القيروان بفضل نشاط الفقهاء والعلماء مركز الاشعاع الثقافي والحضاري الاسلامي في هذه البلاد[2].

الفقهاء العشرة ودورهم في نشر الاسلام بين البربر :

كانت خطة الاصلاح التي قام بها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه ، عملية وجادة استهدف من ورائها تكوين مجتمع اسلامي مؤمن ، ومطبق لشرع الله ، وعالم بأحكام الشريعة وأسرارها . ولذلك قام بارسال عشرة فقهاء من التابعين الأجلاء الى المغرب لتفقيه البربر المسلمين الجدد دين الله وشرعه حتى يقوم اسلامهم على أساس متين[3] . وقد انتشر هؤلاء الفقهاء في أنحاء المغرب ، ونتيجة لمساعيهم الجبارة أسرع الناس في قبول الاسلام طواعية وأقبلوا على دراسته حتى

---

(١) شكري الفيصل : المجتمعات الاسلامية في القرن الأول الهجري ، مطبعة الملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣م، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) محمد العروسي المطوي : سيرة القيروان ورسالتها الدينية والثقافية في المغرب الاسلامي ، الدار العلمية للكتاب ، تونس ، ١٩٨١ ، ص ٣٢ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠ - علي حبيبه : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

أخذ عدد منهم ينبع فى العلوم الشرعية [1] .

ولم يقتصر نشاط هؤلاء التابعين على الناحية الدينية والثقافية ، بل من منطلق أن الاسلام يحكم جميع الأمور كان لهم ذلك الدور السياسى الهام فى زمن الوالى حنظلة بن صفوان ، حيث استنجد بهم حين ثار عليه الخوارج فكتبوا له رسالة ليقتدى بها المسلمون وينتهوا عن الفتنة [2] .

والواقع أن هؤلاء التابعين كانوا بحق فى عهد اسماعيل بن عبيد الله سواعد وأعضاد له فى تثقيف البربر بثقافة الاسلام ، كما كانوا بمثابة جهازه الأدبى والروحى فى تقوية معنوياتهم .

لهذا تعتبر هذه الفترة هامة جدا فى تاريخ بلاد المغرب اذ انمحت فيها معالم المغرب الوثنى والنصرانى القديم ، وحلت معالم جديدة تشير الى ميلاد أمة مسلمة واحدة ترتبط مع كل المسلمين فى حضارتهم ومزاجهم وآمالهم ومستقبلهم .

ولقد حفظ لنا أبو العرب بن تميم القيروانى صاحب طبقات علماء افريقية وتونس أسماء هؤلاء التابعين [3] حيث قال : " حدثنى فرات بن محمد ، ان عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل افريقية ،

---

(١) حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضر والحاضر ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص ١١٥ .

(٢) انظر نص الرسالة فى الفصل الثانى . ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) لقد أسقط صاحب طبقات علماء افريقية وتونس اسم واحد من الفقهاء العشرة : وهو أبو سعيد جعثل بن عاهان (السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠) .

منهم : موهب بن حي المعافري ، واقام حتى مات بها ... وحيان بن أبي جبله ، واسماعيل بن عبيد الله الأعور القرشي مولاهم ... ، واسماعيل ابن عبيد مولى الأنصار ... ، وطلق بن حابان ... ، وبكر بن سواده الجذامي ... ، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي ... ، وأبو عبد الرحمن الحبلي واسمه عبد الله بن يزيد .. ، وسعيد بن مسعود التجيبي ...[1]

ويجدر بنا ان نلقي ضوءا على كل منهم وفاء بحقهم وتكريما وتقديرا لهم .

١ - موهب بن حي المعافري :

كان من أهل الفضل والعلم . تابعي صحب ابن عباس ، وروى عن أبي أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو وغيرهم . كان من أهل الفضل والورع والدين انتفع به أهل افريقية ، وبث فيها علما كثيرا . توفي بالقيروان سنة ١٠٠ هـ ودفن بباب تونس[2] .

٢ - حيان بن أبي جبله القرشي :

مولى بني عبد الدار ، كان من أهل الفضل والصلاح ، سكن القيروان وقام فيها بدور عظيم . روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عباس ،

---

(١) أبو العرب بن تميم القيرواني : طبقات علماء افريقية وتونس ، تقديم وتحقيق علي الشابي ، ونعيم حسن اليافي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٨ ، ص ٨٤ الى ص ٨٧ .

(٢) ابو العرب بن تميم القيرواني : المصدر السابق ، ص ٨٤ - المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٧٣ .

وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله . وروى عنه ابن أنعم ، وأبو شبيه ، وعبد الله ابن زحر . توفى سنة ١٢٢ هـ أو سنة ١٢٥ هـ [١] .

٣ - اسماعيل بن عبيد الانصاري :

عرف بتاجر الله لأنه جعل ثلث ماله لله سبحانه وتعالى . وكان رجلا كريما سمح الأخلاق ، ناسكا عابدا صادقا عطوفا رحيم القلب . ينسب اليه بناء مسجد الزيتونه [٢] ، وهذا وهم . وفى كتاب المالكى : رياض النفوس ، يذكر المؤلف انه بنى المسجد الكبير فى القيروان الذى عرف بمسجد الزيتونه [٣] . ولعله بنى مسجدا فى القيروان أطلقوا عليه اسم مسجد الزيتونه ، وهو غير مسجد الزيتونه المعروف بتونس الذى بناه حسان ابن النعمان وجدده عبيد الله بن الحجاب . . ولاسماعيل صحبه مع بعض الصحابة الأجلاء مثل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص . أنشأ سوقا كبيرا عرف باسم سوق اسماعيل . وقد خرج مجاهدا فى جيش المسلمين الى جزيرة صقلية سنة ١٠٧ هـ حيث استشهد فى تلك الغزوة [٤] .

٤ - طلق بن حابان :

تابعى فقيه لم يذكر له أحد من المؤرخين عمن روى من الصحابة .

(١) أبو العرب بن تميم القيرواني : المصدر السابق ، ص ٨٥ - المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٣ .
(٢) محمد العروسى : المرجع السابق ، ص ٢١ .
(٣) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٠ .
(٤) الدباغ : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ - أبو العرب بن تميم القيرواني ، ص ٨٥ - المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٩ الى ص ٧٢ .

وقد روى عنه بعض الأفارقة والمصريين منهم ابن أنعم ، ويزيد بن أيوب ، وعبد الرحمن بن زياده . وكان فقيها عالما متقيا لله ، مخلصا لدينه . انتفع به أهل المغرب وله تلاميذ كثيرون (١) .

٥ - بكر بن سواده :

بكر بن سواده بن ثمامه الجذامى أبو ثمامه . كان فقيها من التابعين روى من الصحابة عن سهل بن سعد الساعدى وغيره ، وروى من التابعين عن سعيد بن المسيب ، ومحمد بن شهاب الزهرى وغيرهم . قيل انه مات غريقا فى بحار الأندلس سنة ١٢٨ . وقيل بل مات بأفريقية فى أيام هشام ابن عبد الملك . استشهد به البخارى ، ووثقه النسائى (٢) .

٦ - عبد الرحمن بن رافع :

أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخى من التابعين الأجلاء ، سكن القيروان ونشر العلم فيها . ولاه موسى بن نصير على قضاء افريقية سنة ٨٠ هـ ، وهو أول قاض فيها . توفى سنة ١١٣ هـ (٣) .

---

(١) ابو العرب بن تميم القيروانى : المصدر السابق ، ص ٨٦ ، حاشية رقم (٧) ، المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٦ .

(٢) الحميدى ، جذوة المقتبس ، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ١٧٩ - أبو العرب بن تميم القيروانى : المصدر السابق ، ص ٨٦ ، حاشية رقم (٨) .

(٣) أبو العرب بن تميم القيروانى : المصدر السابق ، ص ٨٦ حاشية رقم (٩) - المالكى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٢ - محمد العروسى : المرجع السابق ، ص ٢١ .

٧ - عبد الله بن يزيد :

أبو عبد الرحمن الحبلي المعافري الافريقي . تابعي روى عن جماعة من الصحابة منهم أبو أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وغيرهم وروى عنه جماعة من العلماء منهم يزيد بن عمرو ، وأبو هاني الخولاني وغيرهما . شهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير ، وسكن القيروان وأقام فيها حتى وفاته سنة ١٠٠ هـ . ودفن بباب تونس ، وهو أحد أبواب سور مدينة القيروان . من مآثره الجميلة بناؤه مسجد الرباطي ، الذي غدا فيما بعد مركزا من مراكز العلم والتحصيل (١) .

٨ - سعيد بن مسعود التجيبي :

هو أبو مسعود سعيد بن مسعود الكندي المصري ، صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم أبو الدرداء . سكن القيروان ، وبث فيها علما كثيرا . وكان رجلا صالحا عالما مشهودا بالدين والفضل ، قليل الهيبة للملوك . خرج الأمير مرة الى الجامع وكانت له مظلمة فصاح أبو مسعود بعد انقضاء الصلاة فقال له : أنا بالله لا بك . فقضى حاجته . وكان يعقد مجالس العلم والحكمة . وكانت تميزه عن غيره بلاغته في المنطق وعمقه في التفكير . روى عنه جماعة منهم ابن أنعم ، ويزيد بن أبي حبيب ، وعبد الرحمن بن يحيى . توفي بالقيروان ، ولم تمطنا المصادر سنة وفاته (٢) .

(١) ابو العرب بن تميم القيرواني ، المصدر السابق ، ص ٨٦ ، حاشية رقم (١٠) - المالكي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٤ .
(٢) المالكي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٦ ، ٦٩ - أبو العرب بن تميم القيرواني : المصدر السابق ، ص ٨٧ ، حاشية رقم (١) .

٩ - جعثل بن عاهان بن عمير البتور :

أبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير ، تولى منصب قضاء الجند بأفريقية من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ، كان فقيها صالحا ، توفى فى خلافة هشام بن عبد الملك حوالى سنة ١١٥ هـ [1] .

١٠- اسماعيل بن عبيد الله الأعور : [2]

وبعد ..

فهؤلاء هم الفقهاء التابعون العشرة وهم الذين يرجع لهم الفضل فى اسلام عامة البربر والذين بفضل جهودهم - الى جانب من سبقهم - دانت جميع افريقية من برقة الى السوس الأقصى ولم تقم بعد للنصارى والبربر قائمة [3] .

والحقيقة ان وجود مثل هؤلاء الأعلام من الدعاة فى بلاد المغرب لا يرجع فقط الى فترة خلافة عمر بن عبد العزيز . وانما كان قبلهم جلّة من التابعين قاموا بنشاط محمود لنشر الاسلام ، وتعليم البربر أمور العقيدة والشرع الاسلامى [4] . الا أنه لم تكن لهم من حرية العمل والحركة ، مثلما

---

(١) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
(٢) لم أعثر له على ترجمة فى المصادر التى بين أيدينا .
(٣) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار افريقية وتونس ، تونس ، ١٢٨٦هـ ، ص ٣٨ .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ .

كان لهؤلاء التابعين العشرة ، فبعد اتساع المد الاسلامي ، واستقرار أحوال المغرب في ظل دولة الاسلام أصبح من السهل القيام بأعباء التعليم والتفقيه .

فضلا عن ذلك فان كثرة المراكز الاسلامية التعليمية متمثلة في المساجد ساعدت بشكل منقطع النظير في عملية البناء الفكري لدى من أسلم من البربر ولذلك كانت عملية انشاء المساجد ظاهرة هامة ملحوظة ومرافقة لتاريخ الفتوح الاسلامية .

على أنه لم يصلنا أسماء كثير من المساجد التي انشئت في المغرب خلال القرن الأول ، وبداية القرن الثاني الهجري . فلم تسمع الا عن مسجد القيروان الكبير الذي أسسه عقبة بن نافع في العاصمة القيروان ، ومسجد تونس الذي وضع أساسه حسان بن النعمان ، وأتمه وجدده عبيد الله بن الحجاب ، ومسجد الرباطي الذي أنشأه ابو عبد الرحمن ابن يزيد المعافري ، والمسجد الذي أسسه اسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله [1] .

ونلاحظ في هذه الفترة قوة الصلة ومتانتها بين العرب والبربر المسلمين بحيث أصبحوا يكونون وحدة قوية تربطها العقيدة ، ويزيد من تماسكها وقوتها التزام الحكام بتطبيق نصوص الشرع الخاصة بالمساواة

---

(١) المالكي : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٧٠ ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢ .

والاخاء بين جميع العناصر[1] .

والواقع ان احراز مثل هذه النتائج الطيبة كان مرهونا بوجود السياسات القوية التى تحافظ عليها ، ومقرونا بوجود الخلفاء العادلين المؤمنين بضرورتها ، مع توافر الولاة الحريصين على تنفيذ ذلك ودوامه .

بهذا أصبح البربر جزءا لا يتجزأ من كيان الاسلام والمسلمين . فاذا ما ثاروا فانما يثورون لا ضد الاسلام ودولته وانما ضد من يخالف تعاليم الاسلام وقواعده وأصوله فأصبحت شخصيتهم اسلامية تدور فى اطار ما يجب أن يكون عليه المسلمون[2] .

---

(١) على حبيبه : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) ابراهيم محمد حسن الجمل : أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، دار الشعب القاهرة ، ص ٣٠ .

ولاية يزيد بن أبى مسلم سنة ١٠٢ هـ :

بعد وفاة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ – ١٠٥ هـ) ، وكان لا يقر سياسة التسامح واللين والحكمة التى استعملها الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، وانما كان يرى سياسة العنف أجدى على الدولة (١) . ولقد أظهر موقفه من اصلاحات عمر بن عبد العزيز صراحة فى كتاب بعث به الى عماله جاء فيه " اما بعد فان عمر كان مغرورا غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه فى انكسار الخراج والضريبة ، فاذا أتاكم كتابى هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده ، وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى أخصبوا أم أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا والسلام " (٢) .

وليس أدل على اتخاذه ذلك السبيل الصارم من أنه كتب الى محمد ابن يوسف أخ الحجاج بن يوسف الذى كان على اليمن يأمره باعادة وضع الخراج على ما كان عليه قبل عمر بن عبد العزيز ، ويقول له : " خذها منهم ولو صاروا حرضا ، والسلام " (٣) . وبذلك عمد الى كل اصلاحات عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده الى مايحب .

وكان يرى أن دخول الموالى فى الاسلام قد أضر بدخل بيت مال المسلمين فأعاد الجزية على من أسلم من أهل الذمة (٤) . بالاضافة الى

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣ .
(٢) فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٦٨ .
(٤) فرج محمد الهونى : المرجع السابق . ص ٢٥٨ .

ذلك تشدد فى معاملة المسيحيين فى مصر فأعاد الخراج الذى كان عمر ابن عبد العزيز قد رفعه عن الكنائس والأساقفه ، وضاق المسيحيون ذرعا بسياسته تلك حتى قالوا : انه سلك طريق الشيطان وحاد عن طريق الله[1] .

وفى الناحية الادارية قام الخليفة يزيد بن عبد الملك بعزل الولاة الذين عينهم عمر بن عبد العزيز وعين آخرين مكانهم . فعزل أبا بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن المدينة واستعمل عليها عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى . وعزل والى مكه عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد وضم مكه والطائف لوالى المدينة سنة ١٠٣ هـ ، كما عزل اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر عن ولاية بلاد المغرب وعين يزيد بن أبى مسلم ، الى غير ذلك من التغييرات الأخرى التى قام بها[2] . والتى استهدف من ورائها احكام قبضته على جميع نواحى الدولة الاسلامية بشدة وعنف .

وقد كان تعيين يزيد بن أبى مسلم فى بلاد المغرب من الأمور التى تفسر بوضوح مرامى الخليفة يزيد بن عبد الملك .

فقد كان يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج وصاحب شرطته ، وقد عزم السير على نهجه فى سياسته للبربر . وفى هذا الشأن يذكر الطبرى ما يأتى :

---

(١) سيد اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٢٠٧ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٩٧ ، ١٠١ - فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

"عزم ان يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف فى أهل الاسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق فرد هم الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم"[(١)] .

والحق أن الدولة كانت فى حاجة الى المزيد من الأموال وهذه السياسة هى التى دفعت الولاة الى التعسف والتشدد فى جمعها . فقد كان الحجاج يخشى ان تتأثر موارد الدولة بهجرة الموالى ، وخشى أيضا نقص الأيدى العاملة فى الزراعة الأمر الذى سيترتب عليه نقص الخراج فرأى ضرورة رد هم الى قراهم وفرض الجزية عليهم بالرغم من اسلامهم[(٢)] . لاسيما وأن الحروب المتوالية التى خاضتها الدولة فى الشرق لتوطيد نفوذها قد استنزفت مبالغ طائلة من الأموال[(٣)] .

والواقع أن سياسة يزيد بن أبى مسلم فى بلاد المغرب المماثلة لسياسة الحجاج بن يوسف الثقفى فى العراق كانت وبالا على بلاد المغرب اذ دفعت البربر هناك الى الثورة على العرب . فقد كان البربر قد أسلموا قبل ولاية يزيد بن أبى مسلم سنة ١٠٢ هـ بفضل جهود من سبقه من

---

(١) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٦١٧ .
(٢) فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .
(٣) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م ، ص ١٥٥ .

القواد الفاتحين والولاة ، فلما جاء يزيد بن أبي مسلم لم يعمل على ترسيخ وتثبيت الاسلام في تلك المنطقة ، أو يبذل جهدا لنشره بين الروم الذين كانوا لا يزالون على نصرانيتهم [1] ، بل تشدد معهم واتبع سياسة اتسمت بالعنف وقصر النظر فكانت ولايته اساءة الى الوضعية العامة . [2]

وقد وصل يزيد بن أبي مسلم في استبداده وعسفه بأهل المغرب مظهرا اعتداده بنفسه الى أن يقوم خطيبا على المنبر فيقول : " ايها الناس انى قد رأيت أن أرسم اسم حرسي في ايديهم ، كما تفعل ملوك الروم بحرسها ، فأرسم في يمين الرجل اسمه ، وفي يساره حرسي ليعرفوا في الناس بذلك من غيرهم فاذا وقفوا على أحد أسرع فيما أمرته به " [3] . فلما سمع ذلك حرسه غضبوا منه وقالوا : " جعلنا بمنزلة النصارى " [4] .

وكان من سيئات حكم يزيد بن أبي مسلم التي أسهمت في اثارة غضب العامة عليه تتبعه لأموال الولاة السابقين [5] . فابتدأ بموالي موسى بن نصير من البربر فجعلهم أخماسا ، وأحصى أموالهم وأولادهم ، ثم جعلهم حرسه وبطانته [6] .

---

(١) محمد علي دبوز : المرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .
(٢) موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١ ، ص ٢٩ .
(٣) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص ٩٩ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٨٩ .
(٤) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ابن عبد الحكم : نفس المصدر والصفحة .
(٥) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
(٦) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

كما تشدد في معاملة الحرس . وهذا الحرس كان حرسا للدولة لا يعزل مع الوالي ، أي أن الحرس الذين كانوا مع يزيد بن أبي مسلم هم نفس حرس الولاة من قبل . مما يدل على أن المغرب كولاية اسلامية كانت قد صارت لها نظمها المستقرة [(١)] . وكان حرس الولاة يتكون من البربر البتر ليس فيهم من البرانس أحد [(٢)] . ولعل السبب في ذلك عائد الى أن كثيرا من البربر البرانس كانوا قد دخلوا في الخدمة العسكرية في الجيش بعد مقتل الكاهنة في عهد حسان بن النعمان [(٣)] .

ولطالما نعم هذا الحرس بمعاملة الولاة السابقين ، فلما جاء يزيد ابن أبي مسلم رأى البربر الفرق شاسعا بين سياسة أولئك ، وسياسته تلك فقرروا التخلص منه .

ولم يقف يزيد بن أبي مسلم عند هذا الحد بل زعم أن بلاد المغرب فيء للأمويين ومغنم فتحوه عنوة بالسيف ، فهو ملك للدولة ، لها أن تقرر ما شاءت من الخراج على أراضيه [(٤)] .

ولذلك فمن المهم مناقشة موضوع أرض المغرب ، هل فتحت صلحا أم فتحت عنوة ؟

من الأمور المعروفة في حركة الفتوح الاسلامية لبلاد المغرب أن بعض

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ .
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ .
(٤) محمد علي دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ .

المدن فتحت صلحا ، وبعضها الآخر فُتِحت عنوة ، لكن حسان بن النعمان ـ الذى قام بتنظيم المغرب اداريا لأول مرة ـ أجرى عليها حكم الأرض المفتوحة صلحا ، ووافقه على ذلك موسى بن نصير ومن جاء بعده من الولاة [1] الى أن ولى أمر المغرب يزيد بن أبى مسلم .

ويذكر الجزنائى فى حكم أرض المغرب مايلى : " وأما حكم أرضه ـ أى بلاد المغرب ـ فقال أبو الحسن القابسى فى (شرح موطأ الامام مالك) رحمه الله من كتاب الجهاد : اختلف الناس فى أرض المغرب هل افتتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة على ثلاثة أقوال : الأول الذى يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك انها فتحت بالسيف عنوة ، لأنه جعل فى المعادن النظر للامام ، ولو صح ذلك لم يجز لأحد بيع شئ منها كأرض مصر وطنجه ، لأنها افتتحت بالسيف . الثانى قيل صلحا صالحوا عليها أهلها فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض . الثالث قيل انها مختلطة هرب بعضهم عن بعض فتركوها فمن بقى بيده شئ كان له . وهو الصحيح والله أعلم " [2] .

هذا فى الوقت الذى نجد أحد المؤرخين ، يلتمس تعبيرا جديدا فلا يتحدث عن العنوة والصلح ، وانما يقول أرض المغرب " أسلم عليها

---

(١) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ ـ محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .

(٢) الجزنائى : جنى زهرة الاس فى بناء مدينة فاس . تقديم : عبد الوهاب ابن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م ، ص ٧ .

أهلها " (١) . وحكم الأرض التي أسلم عليها أهلها هي أنها لأهلها ملك أيمانهم ، وهي أرض عشر لا شئ عليهم فيها غيره[٢] على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه[٣] .

وحكم الأرض المفتوحة صلحا تكون فيئا للمسلمين . والفئ هو ما صولح عليه المسلمون من الجزية والخراج . أى يتفق أهل البلد مع المسلمين على مقدار الجزية والخراج التي تدفع لهم دون أن يمس المسلمون أراضيهم أو يأخذوها منهم عنوة أو قهرا[٤] .

أما الأراضي التي تفتح عنوة فتكون في حكم الغنيمة وتقسم بين الفاتحين طبقا للآية الكريمة ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥] فالخمس الذى لله عز وجل مردود من الله تعالى على الذين سماهم الله (للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) لا يوضع في غيرهم وذلك الى الامام يضعه فيمن حضره منهم بعد أن يجتهد رأيه ويتحرى العدل[٦] . وما بقى بعد الخمس فهو للذين غلبوا عليه من

---

(١) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٦٦ .
(٢) أبو عبيد : الأموال ، ص ٥٧ .
(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٣٩٨ ، ص ١٤٧ .
(٤) يحيى بن آدم القرشي : كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ١٧ ، ٢١ .
(٥) سورة الأنفال : آية ٤١ .
(٦) يحيى بن آدم : المصدر السابق ، ص ١٧ .

المسلمين يقسمه بينهم بالسوية [١] . هذا من الناحية الفقهيه ولكن سياسة عمر بن الخطاب ، بعد فتح سواد العراق سنة ١٥ هـ ازاء الأراضى المفتوحة هى عدم تقسيم الأراضى المفتوحة (عنوة) بين الفاتحين ، وهذا يتضح من كتابه الى سعد بن أبى وقاص حين فتح العراق الذى يقول فيه :

" أما بعد : فقد بلغنى كتابك تذكر فيه ان الناس سألوك ان تقسم بينهم مغانمهم ، وما أفاء الله عليهم . فاذا اتاك كتابى هذا فانظر ما أجلب الناس عليك به الى المعسكر من كراع ومال ، فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك فى أعطيات المسلمين ، فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شىء " [٢] .

ولا شك فى أن عمر بن الخطاب كان حكيما باتباعه سياسة عدم تقسيم الأراضى بين الفاتحين حتى لا ينشغل جنده بالزراعة والأراضى بينما تكون الدولة الاسلامية بحاجة لهم فى الجهاد . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يكن المسلمون الفاتحون والذين كان أغلبهم من عرب الجزيرة لهم معرفة بأمور الزراعة والرى [٣] .

وقد جرى المسلمون على هذه القاعدة فى العراق ومصر والشام حيث تركوا الأراضى بيد أصحابها يدفعون عنها الخراج [٤] .

وكان الذمى الذى يعتنق الاسلام تصبح أرضه عشريه ، ولاشك ان ذلك

---

(١) أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٤ .
(٢) أبو يوسف : المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٣) سيده اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٤٣ .
(٤) سيده اسماعيل كاشف : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

حدث طويلا ، ولكنه تغير فى العصر الأموى وأصبح الذمى اذا اعتنق الاسلام لا تعفى أرضه من الخراج . وقد ظل هذا الوضع الى أن قام عمر بن عبد العزيز باصلاحه المالى فأصبحت جميع الأراضى خراجية[1] .

ويلاحظ أن الخراج الذى يفرض على الأراضى التى صولح أهلها على أن تكون لهم يسمى خراج جزية ويسقط باسلامهم ، أما الخراج الذى يفرض على الأراضى التى صولح أهلها على أن تصير وقفا يسمى خراج أجره ولا يسقط عنها باسلامهم أو بانتقالها الى غيرهم من المسلمين بعكس خراج الجزية[2] .

والواقع أن نظام الأرض فى فجر الاسلام كان نظاما مطاطا مرنا ولم يستقر الا بعد ذلك بفترة طويلة[3] .

بعد هذا التوضيح يمكن القول ان سياسة يزيد بن أبى مسلم فى بلاد المغرب كانت تهدف الى اثراء خزينة الدولة وتعويضها كما أشرت سابقا ـ عما فقدته من أموال فى حروبها الداخلية وفى تدعيم سلطان الأمويين فى الحكم . فنلاحظ أنه لم يجر على أرض المغرب ما أجراه حسان ابن النعمان حيث اعتبر أرضهم مفتوحة صلحا ، أو أخذ الاعتبار الآخر فى جعل أرضهم أسلم عليها أهلها . ولكن نجده يعاملهم معاملة غير

---

(١) فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .
(٢) أبو يعلى الحنبلى : الاحكام السلطانية ، الطبعة الثانية ١٣٨٦ / ١٩٦٦ ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٣) سيده اسماعيل كاشف : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

المسلمين البتة ففرض الجزية على رؤوسهم والخراج على أراضيهم . وكان عليه بدلا من التشدد فى معاملة حديثى العهد بالاسلام بعدم اسقاط الجزية عنهم وجباية الخراج على ما بأيديهم من الأراضى أن يحسن اليهم ويتغاضى عن حقيقة اسلامهم - ان كان يشك فى هذا الأمر - ، وهل هو اسلام حقيقى أم صورى ، وأن يعمل على تفقيههم فى أمور الدين لكى يصح اسلامهم كما فعل اسماعيل بن عبيد الله ومن بعثهم معه الخليفة عمر بن عبد العزيز من الفقهاء العشرة التابعين ولو باعتبارهم من المؤلفة قلوبهم[1] .

وهكذا كان يزيد بن أبى مسلم فى كل تصرفه كمن يسعى الى حتفه بنفسه فثار عليه حرسه وقرروا التخلص منه ، فلما خرج من داره الى المسجد لصلاة المغرب قتلوه فى مصلاه وذلك سنة ١٠٢ هـ بعد شهر واحد فقط من ولايته[2] .

وقام الناس بتعيين محمد بن يزيد القرشى الوالى السابق وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك : " انا لم نخلع يدا من طاعة ولكن يزيد ابن أبى مسلم سامنا ما لا يرضى به الله ورسوله . فقتلناه وأعدنا عاملك "[3] .

---

(١) ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص ٥٥ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٤٨ - الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ .
(٣) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٣ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ .

فكانت مقالتهم تلك للخليفة يزيد بن عبد الملك دليلا على أن ثورات البربر منذ بداية القرن الثاني الهجرى لم تكن تهدف مطلقا الى الثورة على الدين الاسلامي ودولته ، وانما كانت تهدف الى تأديب الوالي الذى لا يحكم بكتاب الله وسنة نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، ودل ذلك أيضا على عمقهم فى فهم الدين الاسلامي ومراميه .

والحق كانت سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك تسير وفق نهج غير سديد فى معاملة الموالى ، ولعل فى فرض الخراج والجزية على من أسلم أكبر دليل على ذلك ، ولأنه لا يريد ان يثير سخط العامة فى المغرب عليه لم ير بدا من الاعتراف بواقع التغيير الذى حدث فبعث اليهم يقول : " انى لم أرض ما صنع ابن أبى مسلم "(١) ، وأقر محمد بن يزيد على المغرب لفترة ثم بعث اليهم واليا آخر .

---

(١) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٣ .

ولاية بشر بن صفوان (١٠٣ - ١٠٩ هـ)[١] :

كان بشر بن صفوان من أولئك الولاة الذين يعتمد عليهم في الادارة والسياسة لأنه كان عاقلا رزينا شجاعا ، محنكا رؤوفا بالرعية . فسار في المغرب على أحسن سيرة حيث عامل البربر - الذين كانت نفوسهم تموج بالثورة - باللين والاحسان ساعيا لاستمالتهم اليه بالاحترام والتقدير ، فدانوا له بالطاعة والولاء وسكنت اليه نفوسهم ، وبهذا تمكن من تهدئة ثائرة المغرب وتسكين أرجائه[٢] .

وقد استغل بشر بن صفوان هدوء المغرب على أيامه في تعمير البلاد ، والسير بها في طريق التقدم والعمران والرخاء[٣] .

كما اقتفى سبيل محمد بن يزيد واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار في نشر الدين والعلم والفقه بين الناس ، فاستمر الفقهاء والعلماء في علمهم وجهادهم وكان من بينهم الواليان السابقان محمد ابن يزيد القرشي واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار[٤] .

وقد أدت تلك السياسة الطيبة الى اقبال البربر على حلق العلم

---

(١) بشر بن صفوان بن تويل بن بشر كان عاملا للخليفة يزيد بن عبد الملك على مصر ، ثم ولاه المغرب سنة ١٠٣ هـ (الكندي : ولاة مصر ، تحقيق : حسين نصار ، دار بيروت للطباعة ، بيروت ، ١٣٧٩ ، ص (٩١) .
(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الفكر ، القاهرة ، جـ ٤ ، ص ٨٨ .
(٣) محمد علي دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .
(٤) محمد علي دبوز : نفس المرجع والجزء والصفحة .

فى المساجد وتعليم الصبيان فى المدارس ، حتى صار من البربر فيما بعد رجال دين وفقهاء فى الشريعة[١] .

لكن بشر بن صفوان أخطأ فى سياسته التى اتبعها تجاه آل موسى ابن نصير ، وان كان عمله ذلك لم يكن الا تنفيذا لأوامر الخليفة يزيد ابن عبد الملك الا أنه اعتبر وصمة سوداء فى تاريخ ولايته . فلقد قام بقتل عبدالله بن موسى بن نصير وكثيرا من آله ومواليه ، كما أنه صادر أموالهم[٢] . ولعله كان يطمع فى أخذ هذه الأموال من هذا الطريق بعد ان انقطع المورد الآخر وهو الجزيات بمقتل يزيد بن أبى مسلم[٣] .

وفى بداية سنة ١٠٥ هـ خرج بشر بن صفوان يحمل هداياه الى الشرق ليقدمها الى الخليفة يزيد بن عبدالملك لكنه لم يدركه اذ كان يزيد بن عبد الملك قد توفى فى شعبان من تلك السنة ، فقدم هداياه الى الخليفة هشام بن عبد الملك ، ثم أعاده الخليفة الجديد الى ولاية بلاد المغرب[٤] .

ظل بشر بن صفوان فى ولايته على بلاد المغرب حتى سنة ١٠٩هـ، وهى السنة التى توفى فيها بعد عودته من غزو صقلية التى أصاب منها سبيا كثيرا ، اذ أصابه مرض خطير يقال له " الدبيله " مات به فى القيروان فى شوال من تلك السنة[٥] .

---

(١) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .
(٣) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .
(٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٩١ .
(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٩ ، الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمى (١١٠ - ١١٥ هـ) :

كانت ولايته فى صفر سنة ١١٠ هـ ، وكان قيسيا متعصبا ، أساء الى عمال بشر بن صفوان ، وأغرمهم وعذبهم [1] . وكان من بينهم رجل يدعى أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى [2] الذى بعث بقصيدة الى الخليفة هشام ابن عبد الملك يشكو فيها من سوء معاملة عبيدة بن عبد الرحمن له يقول فيها :

أفأتم بنى مروان قيسا دماءنا ... وفى الله ان لم تنصفوا حكم وعدل

كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ... ولم تعلموا من كان ثم له الفضل

تعاميتم عنا بعين جلية ... وأنتم كذا ماقد علمنا لنا الفعل [3]

وفضلا عن تعصبه لقيسى على حساب الكلبيين فانه أساء التصرف بتشدده فى معاملة البربر ، الذين لم ينسوا بعد تعسف يزيد بن أبى مسلم ، صحيح ان معاملة عبيدة بن عبد الرحمن لم تصل الى الحد الذى وصلت اليه معاملة يزيد بن أبى مسلم لهم . لكن البربر كانوا بحاجة الى من يداوى جراحهم ويسكن نفوسهم ، فقد أسرف فى غزو قبائلهم وأذاقهم ألوانا من سياسته الحمقاء حتى زرع فى نفوسهم الرعب لشدة ملاحقته لهم ، واضطهادهم وقتلهم مما دفع بالبربر الى اعتناق مبادىء الخوارج [4] .

---

(١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩١ .

(٢) الحسام بن ضرار الكلبى ، قائد جليل ، ورجل ممتاز له مكانة فى الدولة وحظوة عند الأمويين أسند اليه بشر ولاية كبيرة فى أيامه وكان من عماله الكبار فى المغرب (محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١١) .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ .

لقد كانت سياسة عبيدة بن عبد الرحمن تميل نحو الشدة والعنف وحكم البلاد بالقوة ، فبطش بكبار الموظفين - من مدنيين وعسكريين - ولم يفرق فى ذلك بين عماله وعمال الولاة السابقين[١] .

وكان أيضا يميل فى سياسته الى جمع المال ، وليس أدل على ذلك من غضبه على عبد الرحمن الغافقى[٢] - واليه على الأندلس - ، ان أنه بعد غزوة لبلاد الفرنجة أصاب بعض الذخائر من الذهب والجوهر فأمر بها فكسرت ، ثم أخرج الخمس وقسم سائر ذلك فى المسلمين الذين كانوا معه ، فبلغ ذلك عبيدة ، فغضب غضبا شديدا ، فكتب اليه يتواعده ، فكتب اليه عبد الرحمن : " ان السموات والأرض لو كانت رتقا لجعل الرحمن للمتقين منها مخرجا ، ثم خرج اليهم غازيا فاستشهد وعامة أصحابه "[٣] ، رحم الله الغافقى وصحبه .

ومما يدل كذلك على هذه السياسة المادية انه لما خرج الى الخليفة هشام بن عبد الملك كانت معه هدايا وطرف عظيمة الى جانب اماء وجوار

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤ .

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى العكى ، أمير الأندلس وليها فى حدود مائة وعشرة هجرى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى . وهو تابعى فاضل يروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما استشهد اثناء قتاله للفرنجة فى معركة بلاط الشهداء سنة ١١٥ هـ (الضبى : بغية الملتمس ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٦٥) .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٩٢ .

بلغت حوالى سبعمائة جارية متخيره ، وخصيان ، وخيل ، ودواب ، وذهب ، وفضة " مما يذكر بأيام الفتح الأولى ، قبل دخول البلاد فى حوزة الاسلام عندما كان المغرب أرض المغانم الثمينة ، والسبى الجميل ." (١)

والجدير بالذكر ان هذا النهج غير السليم الذى انتهجه عبيده ابن عبد الرحمن لم يكن له الا نتائج سلبية على الاسلام فى البلاد لأنه لم يستعمل الحكمة فى سياسة وادارة تلك البلاد ، وتوطيد أركان دولة الاسلام فيها ، وانما استعمل القهر والعنف مما دفع بالخليفة هشام بن عبد الملك الى أن يعزله (٢) . وان كان ابن عبد الحكم يرى ان عبيدة خرج بنفسه الى الشام ، حيث طلب من الخليفة هشام بن عبد الملك أن يعفيه من الولاية فأعفاه وكان ذلك سنة ١١٥ هـ (٣) .

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥١ - السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٤ .
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .

ولاية عبيد الله بن الحبحاب (١١٦ - ١٢٣ هـ) :

عينه الخليفة هشام بن عبد الملك على بلاد المغرب سنة ١١٦هـ ، وكان يثق فى كفاءته لما أبداه من حسن ادارة أثناء ولايته للخراج فى مصر . وقد كان عبيد الله بن الحبحاب عاملا على خراج مصر منذ بداية خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ الى أن ولاه ولاية بلاد المغرب سنة ١١٦ هـ . وكانت سلطته واسعة ومطلقة لأنها تمثل سياسة الخليفة المالية أحسن تمثيل (١) . وقد تشدد فى جباية الخراج والجزية كثيرا من ذلك أنه لما تولى خراج مصر أمر بأن تحصى الناس والبهائم وأن تقاس الأراضى الزراعية والأراضى البور وبنى أميالا أى علامات للمسافات فى حقول مصر على الحدود والطرقات ، وضاعف الخراج وأمر بأن تختم رقاب الناس بالرصاص من سن العشرين الى مافوق ذلك كما وسم أيدى النصارى بسمة الأسد وذلك لتسهل معرفة الذين يجب عليهم دفع الجزية والضرائب (٢) .

وكان من حرصه على جمع المال أن زاد من قيمة الخراج (فى مصر) قيراطا فى كل دينار أى مايعادل الثمن أو جزء من أربعة وعشرين من الأصل (٣) .

وقد سار عبيد الله بن الحبحاب فى حكمه لبلاد المغرب على نفس

(١) سيدة اسماعيل كاشف : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .
(٢) سيدة اسماعيل كاشف : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٣) أ . س . ترتون : أهل الذمة فى الاسلام . ترجمة وتعليق : حسن حبشى . مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، سنة ١٩٤٩ . ص ٢٣١ .

النهج الذى سار عليه زمن ولايته على خراج مصر ، كما انه انتهج نهجا فى بلاد المغرب استهدف به تحقيق ثلاثة مبادئ : أولها - تقوية سلطان العرب على المغرب بشكل نهائى . وثانيها - الاستمرار فى سياسة الغزو البحرى ولكن بشكل منظم بحيث يمكن ان يساهم فى تنمية موارد الولاية المالية . وثالثها - الاجتهاد فى جمع الاموال لسد مطالب ومطامع دار الخلافة فى الشرق [1] .

والمعروف ان هذه السياسة أوقعت بلاد المغرب فى مشاكل كانت وبالا عليها ، ومثارا للفوضى التى ستجتاح المغرب من أدناه الى أقصاه . ولكى يحكم قبضته على البلاد عين ابنه اسماعيل على طنجه وما والاها من المغرب [2] ، ثم عين عليها عمر بن عبيد الله المرادى المعروف بصرامته وبطشه . كما قام عبيد الله بن الحبحاب بارسال جيش الى السوس وأرض السودان بقيادة حبيب بن أبى عبده فغنم مغانم لا تحصى من الذهب والفضة والسبى [3] .

ومما يذكر فى سبب غزو عبيد الله بن الحبحاب أرض السوس أن أهل السوس الأقصى قد شقوا عصا الطاعة [4] . واذا كنا لا نستبعد أن يكون

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ .
(٢) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٥ - ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ٣٣٦ .
(٣) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .
(٤) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ .

أهل السوس الأقصى قد خرجوا عن طاعة ابن الحبحاب ، فان رغبته في جمع المال وسبى البربريات كانت على الأرجح هى السبب في غزو تلك المناطق لاسيما اذا علمنا انه قد وضع هدفه ارضاء الخلافة فى المشرق ، وكان الخليفة هشام بن عبد الملك حريصا على المال وجمعه (١) .

كذلك اهتم ابن الحبحاب بالأسطول ، فنظمه وزاد فى عدد سفنه ليتسنى له تنفيذ خطته والاستمرار فى سياسته البحرية الهادفة الى فتح جزيرتى صقلية وسردانية وغيرها من جزر البحر المتوسط التى كانت خاضعة للبيزنطيين (٢) . كما اهتم بمدينة وميناء تونس ودار صناعتها باعتبارها قاعدة المسلمين البحرية فى بلاد المغرب .

ومن أعمال ابن الحبحاب الجليلة اتمامه وتجديده لمسجد تونس الذى اختلف المؤرخون فيمن أنشأه أول مرة . وفى ذلك يقول السلاوى : " وتمكن سلطان عبيد الله بالمغرب ، وبنى جامع الزيتونة بتونس ، لكن صحح صاحب المؤنس أن أول من اختط الجامع المذكور حسان بن النعمان وتممه عبيد الله هذا " (٣) . ويؤيد ذلك أيضا محمد الحسينى فيقول : " ..... وجاء النصر المبين والفتح العظيم لتونس على يد القائد البطل حسان ابن النعمان .... واتخذ تونس دار امارة ، وأسس فيه مسجدا يتعلم فيه الأهالى أصول الدين .... ثم أمر الوالى عبيد الله بن الحبحاب بتجديد المسجد " (٤) . على حين يرى ابن عذارى أن الذى أنشأ الجامع

(١) محمد على دبوز : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .
(٢) محمد على دبوز : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .
(٣) السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ .
(٤) محمد الحسينى : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية . وكالة المطبوعات ، الكويت . سنة ١٩٧٣ . ص ١٣٥ - ١٣٦ .

لأول مرة هو عبيد الله بن الحبحاب ، ويؤيده فى ذلك كل من ابن الأبار وابن خلدون [١] . لكن الراجح أن أول من اختطه كان حسان بن النعمان ، وأن الذى أتم نواقصه وحسّنه وجدد فيه كان عبيد الله بن الحبحاب .

والحق ان مسجد تونس أدى دورا محمودا فى نشر الاسلام واللغة العربية فى بلاد المغرب ، كما أصبح قلعة وحصنا ومركزا للدفاع والخطط الحربية يتجمع فيه المسلمون ويرابط فيه المجاهدون استعدادا للذود عن بلادهم ونصرة دينهم [٢] .

كما أدى المسجد رسالة علمية فكان معهدا يتلقى فيه المسلمون تعاليم الدين وتفاسير القرآن الكريم ، وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم على كبار التابعين والمجتهدين ممن تلقوا العلم على كبار الصحابة والمحدثين الأوائل [٣] .

ومسجد تونس هذا هو المعروف باسم جامع الزيتونة ، وقد أطلقت عليه هذه التسمية فى عصور متأخرة [٤] . ويقال انه سمى بجامع الزيتونة حيث كان مكانه يطلق على اسم قديسة مسيحية قبل دخول الاسلام الى هذه البلاد كانت تسمى زيتونة . وربما تكون التسمية راجعة الى ان المكان

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥١ - ابن الابار : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ .
(٢) محمد الحسينى : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .
(٣) محمد الحسينى : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٤) أمين مدنى : الثقافة الاسلامية وحواضرها ، ص ٢٢٣ .

الذى انشىء فيه الجامع كانت تكثر فيه أشجار الزيتون فسمى نسبة لذلك باسم الزيتونة[1] .

ويمكن القول أن بعض جوانب من سياسة ابن الحبحاب أساءت الى البربر ،وجعلتهم يثورون عليه ـ وهو ما سيأتى تفصيله فى الفصل الثانى ان شاء الله ـ الأمر الذى سيجعل دور الولاة بعده ينحصر فى محاولات القضاء على حركات الخوارج واضطراباتهم ، واحكام قبضة الأمويين على بلاد المغرب .

* *

---

(١) أمين مدنى : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

نظرة عامة على انتشار الاسلام فى بلاد المغرب

يلاحظ فى انتشار الاسلام فى بلاد المغرب النقاط التالية :-

١ - الصلة بين المد الاسلامى وبين سياسة القادة والولاة . فمتى وجد القائد أو الوالى العادل الحكيم كانت استجابة البربر للاسلام أسرع، اذ كان الدين عندهم يترجمه الأشخاص الموجودون بينهم فى فترة لم يكونوا يفهمون النصوص الاسلامية بعد ، يدل على ذلك ما وصل اليه المغرب من رقى فكرى وحضارى وسرعة الاستجابة للاسلام والدخول فيه فى عهد محمد بن يزيد القرشى ، واسماعيل ابن عبيد الله بن أبى المهاجر دنيار ، فى حين نرى عكس ذلك فى عهد يزيد بن أبى مسلم الذى لم يحسن فى معاملة البربر الأمر الذى دفع بهم الى تقبل المبادئ الخارجية من أباضية وصفرية ومن ثم الى الثورة على العرب .

٢ - ساهم انشاء المدن الاسلامية كالقيروان وتونس مساهمة فعالة فى عملية المد الاسلامى ،بل وفى مرحلة النضوج الفكرى . اذ غدت تلك المدن بفضل الدعامة الأساسية فيها -وهى المسجد- مراكز اشعاع ثقافى وفكرى اسلامى . أضف الى ذلك قدوم كثير من الفقهاء والمحدثين والقراء الى المغرب وهؤلاء كانوا يعتبرون القتال من الجهاد الأصغر ، والدعوة من الجهاد الأكبر ، وكانوا يؤمنون بأن تعليم القرآن والتفقه فى الدين عبادة من أجل العبادات وأرفعها

قــدرا [1] .

ومما جعـل لهـذه المدن دورهـا الفعـال أنهـا لـم تقـم على أسـاس الخـطط القبليـة ، كما هـو الحـال فى الكوفـة والبصـرة والفسطاط [2] ، لذلك لـم تؤد الـى تعصـب عنصر علـى عنصـر ، بـل أدت الـى تكاثـف جميـع العناصـر معـا .

٣ ـ سـاهم اختـلاط العـرب بالبربـر فى عمليـة المـزج البشـرى الحضـارى بيـن العنصـرين ، وكـان فتـح الأندلس وقيـام البربـر المسـلمين بأوفـر أعبائـه عامـلا هامـا سـاعد علـى ربـط العـرب والبربـر فـى ربـاط مشـترك مـن المصـير الواحـد والأهـداف المشـتركة ، فأصبحـوا جميعـا أخـوة فـى اللـه ، لا فـرق بين أحـد فـى شـىء " وأصبـح البربـر من قـادة الفتـح الاسـلامى ومن جنـوده كالعـرب سواء بسـواء " [3] .

٤ ـ ان ظهـور بشـائر عهـد " المغـرب المسـلم " سـريعا مما يقـرر معجـزة الاسـلام الكبرى بأنـه هـو ديـن الفطـرة . اذ صبـغ البربـر بالصبغـة الاسـلامية ، وجعـل لسـانهم عربيـا . وهـذه الحقيقـة تعتـبر حدا فاصلا فى تـاريخ البربـر الطويـل ، اذ عجـزت الحضـارات القديمـة الـتى وصلـت الى بـلاد المغـرب كالاغريقيـة واللاتينيـة عن ادخـال البربـر فى نطاقهـا ، واقتصـر تأثيرهـا على بعـض المدن المبعثرة علـى طـول الشريط السـاحلى

---

(١) محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربى ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ .
(٢) شـكرى الفيصل : المجتمعات اسلامية ، ص ١٧ .
(٣) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ .

لشمال افريقية[1] . كما أن اقبال البربر على المسيحية واليهودية كان فى اطار محدود جدا بعكس اقبالهم على الاسلام فقد كان سريعا لا سيما القبائل البدوية منهم[2] .

* *

(١) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .
(٢) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٢) استمرار حركة التعريب فى بلاد المغـرب

تبدأ معالم حركة التعريب فى الظهور مع ازدياد حركة المد الاسلامى فحيثما يزداد انتشار الاسلام يبدأ الطابع العربى فى الظهور . ولهذا نجد أن التعريب فى بلاد المغرب يسير جنبا الى جنب مع حركة الفتوح الاسلامية ، ولا عجب فى ذلك اذ أن اعتناق البربر للاسلام كان يقتضى بالضرورة تعلم اللغة العربية ومن ثم كان اختلاطهم بالعرب المسلمين يؤدى الى امتزاج الدماء وتعلم اللغة العربية وبالتالى أخذ ألوان الحضارة عنهم على أن عملية التعريب كانت تتوقف على مدى استجابة أفراد البربر لها : من تعصب البعض ضدها ، أو سرعة تفاعل البعض الآخر معها وتقبلهم لها .

أولا : التعريب الجنسى :

ومن المهم ونحن نتحدث عن التعريب الجنسى أن نحدد العناصر التى كانت تسكن بلاد المغرب غداة الفتح الاسلامى . لقد كان فى المغرب وقتذاك عناصر متعددة متباينة الأمزجة والديانة واللغة ، وهذه العناصر هى :-

١ - البربر :

وهم سكان البلاد الأصليين ، والرأى الراجح أنهم أصلا من الساميين وأنهم كانوا يسكنون بلاد الشام ويجاورون العرب فى المساكن والأسواق والمراعى ويشاركونهم فى المياه والمسارح ، ويصاهرونهم فازداد

العنصران بذلك امتزاجا وتداخلا منذ أقدم العصور ويذكر النسابة أن البتر من البربر عرب مضريون ، والبرانس من البربر أغلبيتهم من عرب اليمن [١] .

ومما يدعم الرأى القائل بنسبتهم الى الساميين ذلك التشابه الكبير بين البربر وبين العرب فى الملبس والمسكن والعادات والتقاليد وطرق المعاش

وأما عن تسميتهم (البربر) فقد انقسم المؤرخون فى ذلك الى فريقين : الفريق الأول يفسر اللفظ تفسيرا لغويا ، فالبربرة فى لسان العرب هى اختلاط الأصوات الغير مفهومة ، ومنه يقال بربر الأسد اذا زأر بأصوات غير مفهومة [٢] . أما الفريق الثانى فيحذو حذو العرب فى ارجاع التسمية الى الجد البعيد أى أنهم يسيرون حسب عادة العرب فى تقسيم الشعوب على أسس متعارف عليها فى علم الأنساب ، فقالوا : ان البربر اتخذوا اسم أحد آبائهم البعيدين وهو بر بن قيس عيلان ، وان بر كان له ابنان أحدهما اسمه برنس واليه ينسب البرانس ، والثانى مادغيس المعروف بالأبتر واليه ينسب البتر [٣] .

والبربر البرانس حظوا بنصيب وافر من الحضارة لتعدد الأسباب بينهم وبين البيزنطيين من كثرة الصلات عن طريق الجوار وغيرها [٤] .

---

(١) عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٢ .
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٨٩ .
(٣) ابن خلدون : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .
(٤) شكرى الفيصل : حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول الهجرى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٢م ، ص ١٨١ .

ومن قبائلهم المشهورة أزداجه ومصموده وأَوْرَبَه وكنامه وصنهاجه وأوريغه [١] . ومن هذه الأصول الكبيرة تنحدر فروع أخرى ، فمن قبيلة أوريغه تنحدر هواره ، ومن هواره تنحدر مليله [٢] ، وهكذا . وكانوا يقطنون في المناطق الشمالية الخصبه ، والسفوح المزروعة ، وقد اندمجوا بمرور الزمن في الروم ، ونسي بعضهم قومياتهم وعاداتهم ، وكانت حياتهم مستقرة نعموا فيها بألوان كثيرة من الرفاهية والدعة [٣] .

أما البربر البتر فهم أهل الوبر يحيون حياة أقرب الى البداوة ، وأدنى الى القبيلة لكنهم لم يكونوا في عزلة مطلقة " فقد كان يتسرب اليهم دون شك أقباس من الحضارة أو كانت تنعكس عليهم ألوان من التأثير قد تكون ضئيلة أو نحيلة ولكنها كائنة على كل حال " [٤] .

ومن أهم قبائلهم أداسه ، ونفوسه ، وضريسه ، وبنو لوا الأكبر . ومن هذه الأصول الكبيرة تنحدر فروع صغيرة ، فمن بنو لوا تنحدر قبيلتا نفزاده ولواته ، وينحدر من نفزاوه قبيلة ولهاصه ، ومن ولهاصه قبيلة تيرغاش ، ومن تيرغاش تنحدر ورفجومه [٥] . وكانوا يسكنون الصحارى والواحات والجبال ، وهؤلاء احتفظوا بقوميتهم وعاداتهم ، وكانوا كثيرى

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧ ، ص ٤٩٥ .
(٢) محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربي ، جـ ١ ، ص ١٦ .
(٣) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار التراث العربي ، ليبيا ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢م ، ص ٢٨ .
(٤) شكرى الفيصل : حركة الفتح الاسلامي ، ص ١٨١ .
(٥) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٦ .

المقاومة للروم ويغتنمون كل فرصة للثورة عليهم والقضاء على نفوذهم حتى أنه بمجيء القرن السابع الميلادى كان نفوذ الروم قد تقلص وانحصر فى السواحل [١] .

ورغم انحدار الطائفتين من أب واحد ، فان هناك اختلافات بين الفريقين تعود الى نمط الحياة المعيشية ، وهى فوارق اجتماعية واقتصادية وليست فوارق عنصرية أو جنسية [٢] .

كما كانت الحروب تقوم بين الطرفين دائما لأن البربر البتر بطبيعتهم المتنقلة كانوا يغيرون على مزارع المستقرين وقراهم ، الأمر الذى يجعل أصحابها من البرانس يطلبون العون من البيزنطيين [٣] ، ولهذا لم يكونوا فى وفاق أبدا .

٢ - الأفارقة :

وهم سكان المدن ، وعنهم يقول الدكتور شكرى الفيصل : " نعنى بالأفارقة هؤلاء الذين كانوا من أصحاب البلاد ، ولكنهم لا يرجعون فى هذه البلاد الى أصول بعيدة .انهم بوجه عام سكان المدن والمراكز القريبة من المدن " [٤] . وعنهم يقول البكرى بأن الأفارقة من المولدين من

(١) الطاهر أحمد الزاوى : المرجع السابق ، ص ٢٨ .
(٢) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٤ .
(٣) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨ .
(٤) شكرى الفيصل : حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول ، ص ١٨٠ .

العناصر الفينيقية والرومانية والبيزنطية التي عاشت ببلاد المغرب منذ وقت مبكر واختلطت بالبربر ، وكان هؤلاء يقيمون بالمدن الساحلية [١] . وقد دخلوا في خدمة الروم وانصبغوا بالحضارة البيزنطية واعتنقوا المسيحية [٢] .

٣ - اليهود :

وكانت هناك جماعة من اليهود في المغرب عند الفتح الاسلامي لهذه البلاد ، وقد بدأ دخولهم لبلاد المغرب في شكل هجرات جماعية منذ حوالي القرن الثالث قبل الميلاد ، ونزلت هجراتهم الأولى على الفينيقيين في تونس [٣] .

ورغم قلتهم العددية الا أنهم تمكنوا من تحقيق نفوذ كبير لهم في بلاد المغرب ، ويتمثل ذلك في اعتناق قبيلة جراوه لليهودية التي تنتسب اليها الكاهنة ملكة جبال أوراس التي تزعمت البربر في مقاومتها للفتح الاسلامي [٤] .

وقد انتشرت أفكارهم عن طريق الفينيقيين قبل أن تتم هجرة

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٦ .
(٢) محمود شيت خطاب : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠ .
(٣) أحمد مختار عمر : النشاط الثقافي في ليبيا ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩١ هـ ، ص ٣٧ .
(٤) ج . ديبوا : تونس . تعريب الصادق مازيغ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٩م ، ص ٧١ .

الجماعات اليهودية الى بلاد المغرب فى عهد الرومان [(١)] .

٤ - الـــروم (البيزنطيـون) :

هم الذين آلت اليهم ولاية افريقية بعد انقسام الامبراطورية الرومانية الى قسمين شرقى وغربى ، فالقسم الشرقى عرف بالدولة البيزنطية ومن ثم عُرِفَت هذه الولاية بأفريقية البيزنطية والبيزنطيون أو الروم كما يسميهم العرب فى أفريقية كانوا يمثلون الطبقة الحاكمة ، كما كانوا يعملون فى مجالى التجارة والزراعة وكانت لهم الغلبة والسلطان [(٢)] . وقد حدث تزاوج واختلاط بينهم وبين البربر لكن رغم ذلك كانت الصلة ضعيفة بين الجماعتين ، وقد ذكر بعض الكتاب العرب أن الملكة الكاهنة كان لها ابن رومى ، الا أن ذلك لا يعدو أن يكون ضمن الحوادث النادرة الحصول [(٣)] .

٥ - الفرنجة (الرومان) :

كانت بلاد المغرب تخضع لحكم الرومان قبل خضوعها لحكم الروم البيزنطيين وظلت جماعة منهم فى المغرب حتى الفتح الاسلامى ، وكان امتزاجهم واختلاطهم بالبربر محدودا لا يتجاوز التحالف أو الجوار فى الخدمة العسكرية فى بعض الأحيان [(٤)] .

---

(١) محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربى ، جـ ١ ، ص ٢٠ .
(٢) شكرى الفيصل : حركة الفتح الاسلامى ، ص ١٨٠ .
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٩ .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء والصفحة .

٦ ـ الوندال (الجرمان) :

وقعت بلاد المغرب تحت حكم الوندال فى القرن الخامس الميلادى فى الفترة مابين حكم الرومان وحكم البيزنطيين . وقد لجأ بعضهم الى داخل البلاد فرارا من البيزنطيين ولجأوا الى القبائل هناك كحلفاء أو لاجئين . ولما تم الفتح الاسلامى لبلاد المغرب كانت لهم بقايا فى تلك البلاد [١] .

كانت هذه العناصر هى المكونة للمجتمع فى بلاد المغرب عند فتح المسلمين لهذه البلاد . وبدخول الفاتحين الجدد تبدأ عملية الاندماج بين تلك العناصر وبين العرب المسلمين . ولقد ساعد على هذا الاندماج عاملان رئيسيان :-

أولهما : هجرة القبائل العربية الى بلاد المغرب ، اذ أن هذه القبائل أحكمت صلاتها مع سكان المغرب برباط النسب . فكان الاختلاط بالمصاهرة عاملا مساعدا فى انتشار القيم والأخلاق الاسلامية بين سكان المغرب [٢] .

وعند تمام الفتح الاسلامى للمغرب كان عدد العرب قليلا جدا ممثلا فى آلاف قليلة من العرب الفاتحين ورجال الادارة ، بينما كان عدد البربر يقدر بعدة ملايين ، والمسيحيين حوالى ثلثمائة ألف ، واليهود

(١) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء والصفحة .
(٢) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٦ .

مائة ألف[1] .

ثم بدأت هجرات القبائل العربية - بعد تثبيت دعائم دولة الاسلام في المغرب ثم في الأندلس ، فدخلت بلاد المغرب بعض القبائل العربية واستقرت به ، وأسهمت اسهاما كبيرا في نشر الاسلام به وفي تعريبه .

وثانيهما : السبي والرقيق ، وكان السبي والرقيق الذي يذهب الى الشرق بمثابة هجرة ، ولكنها جبرية من نوع القهر لا الاختيار . ومن المؤكد أن السبي والرقيق كان لهما أثرهما في تعريب بلاد المغرب حيث كان السبي ينقل الى دار الخلافة في دمشق وتتوزعه الأسر العربية القادرة عليه ، وكان الرقيق يباع ويقبل عليه المتمكنون منه . فكان السبي والرقيق كلاهما يؤولان الى حياة عربية في البيوت والأسر التي يلحقان بها فيصطبغان بالصبغة العربية[2] .

وكان عدد السبي والرقيق كثيرا ، الأمر الذي يجعلنا نعطيه من الأهمية الشيء الكثير في موضوع التعريب .

كذلك كان انتشار الاسلام وما تلاه من ظاهرة الاندماج والانصهار البشري بين العرب والبربر ، مما ساعد على نجاح عملية التعريب الجنسي (العرقي) بين الفريقين الأمر الذي دفع بالبربر الى الأخذ بأسباب

---

(١) أحمد مختار عمر : النشاط الثقافي في ليبيا ص ٧٣ .
(٢) شكري الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٦ .

التعريب فى حياتها كلها بيسر بل وترجع نسبها الى أصل عربى [1] .

على أنه ليس من اليسير أو الممكن بالنسبة للتعريب الجنسى معرفة كافة ظروفه وملابساته خلال القرن الأول الهجرى ، وذلك لقلة المعلومات المتاحة فى هذا الموضوع من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتداخل معلومات القرن الأول وبداية الثانى ـ وهو موضوع بحثنا ـ مع معلومات القرون التالية الأمر الذى يصعب فيه التحديد الدقيق والضبط .

وليس ثمة شك فى أن التشابه الكبير بين العرب والبربر الذى يصل ـ كما سبق أن قلت ـ الى حد التطابق فى العادات والتقاليد ، والذى يرجعه النسابون الى أنهم من أصل عربى ، قد لعب دورا كبيرا فى الاندماج العرقى بين العرب والبربر . فهذا التشابه الكبير بين العرب والبربر كان من العوامل الكبرى التى سهلت عملية اندماج البربر بالعرب وتقبل البربر للدين الاسلامى .

ثانيا : التعريب اللغوى :

تبعا لما فى المغرب من أقوام وعناصر متعددة كانت هناك بطبيعة الحال لغات متعددة :

فكانت هناك اللغة اليونانية ، وهى لغة الادارة والطبقة الحاكمة والطبقات المثقفة العليا فى المجتمع الأفريقى [2] .

---

(١) عبد العزيز بنعبد الله : تاريخ المغرب ، جـ ١ ، ص ٣١ .
(٢) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٢ .

بالاضافة الى ذلك كانت هناك لغة الأفارقة ، التى كانت مزيجا من لغات متعددة حيث حوت شيئا من البربرية والفينيقية واللاتينية واليونانية [١] . ولعل هذا يرجع الى أن الأفارقة انصهروا مع الأقوام التى حكمتهم ، فجاءت لغتهم مزيجا من لغة البربر ومن لغات تلك الأمم التى فرضت سلطانها عليهم [٢] .

كذلك كانت اللغة الفينيقية ، وأهلها من أصل سامى هاجروا الى بلاد المغرب قبل عدة قرون - من عصر المسيحية - وكانت لغتهم الفينيقية واسعة الانتشار فى بلاد المغرب حتى كانت تستخدم الى جانب اللاتينية واليونانية كلغة رسمية واستمرت متداولة حتى زمن الفتح الاسلامى [٣] .

هناك أيضا لغة البربر أنفسهم ، وكان نفوذها واسعا جدا بحكم كثرة المتحدثين بها ، وذكر بعض المتخصصين فى اللغات أن اللغة البربرية تشابه مجموعة اللغات السامية ومنها العربية ويرجعون ذلك التشابه الى صلة الدم والاحتكاك السياسى والحضارى [٤] .

وقد تباينت هذه اللغات فى حظها من الثقافة والثروة الفكرية . فاليونانية كان فيها زاد فكرى عميق وكانت هى لغة الدين والأدب والمعرفة [٥] .

(١) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٢ .
(٢) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٠ .
(٣) أحمد مختار عمر : النشاط الثقافى فى ليبيا ، ص ٦١ .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١١٠ - ١١١ .
(٥) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨١ .

بينما حوت لغة الأفارقة أفكار وانطباعات لغات الأمم السابقة ، فكانت غنية وخصبة تتسع للحياة اليومية (١) .

فى حين كانت لغة البربر على اتساع نفوذ ها فقيرة ليس لها زاد من الفكر والثقافة (٢) .

لذلك فمن الأهمية بمكان بيان موقف اللغات السائدة ببلاد المغرب من اللغة العربية ، ذلك أن موقف هذه اللغات المحلية من اللغة العربية اختلف اما لقبول الاسلام أو رفضه من ناحية ، أو تبعا للمصلحة من ناحية ثانية ، أو نتيجة لعوامل سياسية من ناحية ثالثة ، أو نتيجة لهذه العوامل مجتمعة .

فالروم انتشرت لغتهم تبعا لنفوذهم السياسى ، لكن بعد استتباب أمور المسلمين فى بلاد المغرب ترك الكثير من حكام الروم ومواطنيهم البلاد (٣) ، فتقلصت لغتهم لأن المسلمين ـ بفضل سيادتهم وحسن معاملتهم للبربر ـ أحكموا سلطانهم على البلاد من أدناها الى أقصاها لدرجة لم يبق لغيرهم بجانبهم سلطان أو جاه . وقد كانت لغة الروم قاصرة تقريبا على الدواوين والعاملين فيها ، لذلك كان من اليسير اندثارها ، لاسيما بعد حركة تعريب الدواوين التى تمت فى عهد عبد الملك بن مروان وفى عهد ابنه الوليد .

---

(١) شكرى الفيصل : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٢) شكرى الفيصل : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٣) أحمد مختار عمر : المرجع السابق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

ثم كانت لغة الأفارقة الذين كانوا أرباب التجارة والصناعة ، وكان هؤلاء شديدى الحرص على وجود هم الحيوى كما كانوا حريصين على ملاءمة الواقع والاستجابة له أكثر من الدفاع عنه بالقوة والعناد . ولهذا لم يكن يهمهم من يكون الفاتح فكانت استجابتهم لما يدعو اليه سهلة ، خاصة اذا كان الفاتح على شاكلة المسلمين بما كانوا عليه من حسن المعاملة ورفق فى عرض الدين . ولذلك كان تحولهم الى العربية لغة العرب الفاتحين سهلا ميسورا والتخلى عن لغتهم هين [١] ، لا سيما أن اللغة العربية لها زاد من الفكر والثقافة عظيم لأن مصدر ذلك القرآن الكريم . وبهذا نرى أن دافع المصلحة الحقيقية لأهالى البلاد كان له دوره فى تنشيط حركة التعريب . يضاف الى هذا أن هجرات القبائل العربية التى استقرت ـ مع الفتح وبعده ـ كانت دافعا وعاملا قويا لدفع عجلة التعريب ، وذلك بما تم بين الوافدين وأهالى البلاد من مصاهرة واختلاط . هذا فضلا عن أن اسلام كثير من الأفارقة تبعه بالتالى حتمية تعلم اللغة العربية التى هى لغة الاسلام وكتابه وعن طريقها ـ وليس غيرها ـ يمكن فهم واستيعاب أمور الدين وتعاليمه [٢] .

أما المقاومة والصراع العنيف فكان بين اللغتين العربية والبربرية . فكانت البربرية لغة البلاد ـ رغم ضحالتها ثقافيا وفكريا ـ يعضدها ويجعلها قادرة على الصمود أمام العربية أنها لغة البيئة والكثرة الغالبة من سكان

---

(١) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٣ .
(٢) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٢ .

بلاد المغرب[١] .

كذلك كان للعامل السياسي - حيث السلطة في يد المسلمين - دور كبير في تعريب الدواوين ، اذ أتاح ذلك للمسلمين رعاية عملية احلال اللغة العربية محل اللاتينية والغينيقية في الدواوين منذ ولاية حسان بن النعمان على بلاد المغرب وبأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان[٢] .

ثم كانت الخطوة الأكثر فعالية والتي أمر بها الخليفة الراشدى عمر بن عبد العزيز وهو قصر الوظائف في الدولة الاسلامية على المسلمين[٣] ، الأمر الذى شجع الكثيرين على الدخول في الاسلام وتعلم العربية ليتسنى لهم العمل في احدى وظائف الدولة الاسلامية التي كانت قد تعربت في دواوينها (٤) .

كذلك كان للعامل الدينى أهميته القصوى في نجاح عملية التعريب اللغوى ، ذلك أن العربية لغة الدين والعبادة مما أكسبها قوة لا تضارع ، فكان ارتباط وتقدم اللغة العربية وانتشارها بتقدم الاسلام وانتشاره في كل الأقطار المفتوحة على السواء ارتباطا عضويا قويا[٥] .

كذلك كان لاستقرار المسلمين بالبلاد المفتوحة ، وما أقاموه من المدن الجديدة والمساجد ما أعان اللغة العربية على أن تسود الأمر

---

(١) شكرى الفيصل : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٢) فرج محمد الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢١٠ .
(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٥٨ .
(٤) فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
(٥) أحمد مختار عمر : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

الذى لا نجد بعده أثر لحركة تعمل على نبذ العربية التى استقرت فى النفوس مع الاسلام وتعامل بها الجميع . وهو أمر له مابعده ، وفى هذا الصدد يقول البشير بن سلامه : " لأول مرة لم يشعر فيها سكان البلاد المفتوحة بالغربة فى لغة الغاصب اذ تبنوا العربية وأصبحت لغتهم ، يعتزون بها ولا يستعيضون عنها بغيرها . تلك الغربة التى كان يحس بها أصيل البلاد ، عندما بث الرومان اللاطينية فى ربوعنا ورغم انه حذق هذه اللغة وكتب فيها وأنشأ الروائع التى مازالت تدرس الى اليوم فانه كان يحس بالغربة فى اللغة اللاطينية " (١) . وفى موضع آخر يقول البشير بن سلامة : " وهكذا أصبحت اللغة العربية تسير فى دمائنا وتكون المنصر الدائم القار ، الذى لا يمكن أن نحيد عنه ، وكأنه الضمير الذى يخز كلما تردى الفرد فى الانحراف عن سواء السبيل "(٢) .

وقد أخطأ الكاتب حين أطلق لفظ " الغاصب " على المسلمين اذ لو كان المسلمون غاصبين كسواهم ما كانت معاملتهم الطيبة التى أثارت الدهشة والاعجاب ، وما كان اعتناق السكان للاسلام بشكل سريع لفت أنظار غير المسلمين لهذه الظاهرة النادرة الحصول (٣) ، ومن ثم دخول البلاد فى بوتقة التعريب مالم يحدث له نظير فى التاريخ .

وأخيرا نقول أنه مما ساعد اللغة العربية على الانتشار ما تمتع به من

---

(١) البشير بن سلامة : الشخصية التونسية خصائصها ومقوماتها ، الشركة التونسية ، تونس ، ١٩٧٤م ، ص ٧٠ .
(٢) البشير بن سلامة : المرجع السابق ، ص ٧٢ .
(٣) راجع : توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ١٤٤ - غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٥٠٦ .

مزايا أهمهـا :

١ - أنها لغة الشعائر التعبدية فى الاسلام .

٢ - أنها ذات تاريخ وأدب وثقافة ، خصبة المفردات ، جميلة الجرس .

٣ - أنها واجهت البربرية التى تفتقر الى أى لون من ألوان الفكر والحضارة ، ولهذا لم يجد المترجمون حين بدأت حركة الترجمة من الأجنبية الى العربية فى مخلفات البربر شيئا يترجم [1] .

٤ - بساطتها وعمقها وقدرتها على الوفاء بحاجات العصر والبيئة .

ومن الجدير أن نقول أن العوامل التى ساهمت فى انتشار العربية هى نفسها التى ساهمت فى انتشار الاسلام ، فأضحت العربية تسبيح دونما خصومة حتى اننا نجد بلاد المغرب أصبحت ولاية جديدة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى الجدة ، جدة فى العقيدة واللغة والحضارة ، بل وفى العناصر البشرية بكليتها قلبا وقالبا ، شكلا ومضمونا ، فقد غطى الاسلام معالم البربرية قدر ما وسعه أن يفعل فى هذه الفترة القصيرة ، فكانت النقلة الى الحياة الاسلامية العربية نقلة رائعة واسعة الخطى [2] .

ثالثا : التعريب الحضارى [3] :

لم يكد القرن الذى عرف بقرن الفتح يمضى حتى أضحت عقيدة

---

(١) أحمد مختار عمر : النشاط الثقافى ، ص ٧٠ .

(٢) شكرى الفيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٥ .

(٣) تشمل الحضارة : العقيدة ، والعبادة ، والسياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد ، وقيم ومبادئ ، وأخلاق .

التوحيد ماثلة فى نفوس سكان المغرب " ... وعلى رأس المائة الأولى دانت جميع أفريقية من برقة الى السوس الأقصى "[(١)] .

وفى الناحية السياسية والادارية كانت السلطة العليا بيد المسلمين اذ يقوم الخليفة فى دمشق بتعيين واليه على المغرب والأندلس . ثم يقوم هذا الوالى بتعيين ولاة محليين على أقاليم المغرب والأندلس[(٢)] . وكان مقر الولاة فى مدينة القيروان التى أضحت مركز الحركة والاشعاع والسلطان ومنها يبعثون بعمالهم الى أنحاء المغرب[(٣)] .

أما رجال الادارة فى القيروان أو فى الأقاليم فقد كان الوالى يعينهم أحيانا ، فقد عين موسى بن نصير أبا الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخى قاضيا على المغرب " وهو أول من استقضى بها بعد فتحها "[(٤)] . وأحيانا أخرى كان الخليفة فى دمشق يقوم بالتعيين ، حيث ولى الخليفة هشام بن عبد الملك أبا سعيد جعثل بن عاهان قضاء الجند بأفريقية[(٥)] . كما عين الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) عبد الله بن المغيرة ابن أبى برده على قضاء المغرب سنة ٩٩ هـ[(٦)] .

أضف الى ذلك ما أدخله حسان بن النعمان منذ استقرار الأمور

---

(١) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ، ص ٣٨ .
(٢) محمد الفاضل بن عاشور : المحاضرات المغربيات ، ص ١٣ .
(٣) ابن أبى دينار : المصدر السابق ، ص ٣٨ .
(٤) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٧٢ .
(٥) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
(٦) المالكى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٨١ .

للمسلمين فى بلاد المغرب من تنظيمات ادارية سبق الاشارة اليها[1] .
وقد سار الولاة على نهج حسان فى تلك التنظيمات ، وكان يبدو واضحا استقرار النظم الاسلامية فى بلاد المغرب عقب اتمام الفتح الاسلامى بحيث " .... لم تقم بعد قائمة للنصارى والبربر الذين بها ، فمنهم من دخل فى الاسلام ومنهم من ضربت عليه الجزية "[2] . ومعنى هذا أن الخراج والجزية والزكاة والعشور وغيرها من وجوه النظم المالية فى الاسلام قد سادت بلاد المغرب ، وسارت الأمور فى الناحية الاقتصادية وفق التشريع الاسلامى ، الأمر الذى جعل للمغرب نظما ثابتة مستقرة مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية .

أما فى الثقافة والمعرفة ، فمما لا شك فيه أن ولاة الدولة الاسلامية المخلصين والتابعين الأجلاء أسهموا بنصيب وافر فى بناء المساجد (مراكز الاشعاع الاسلامى الأولى) وقد أدت المساجد دورا كبيرا وجليلا فى نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية[3] .

ومما ساعد على مرحلة النضوج الفكرى ورسوخ المفاهيم الاسلامية عند سكان بلاد المغرب بعثة الفقهاء التابعين العشرة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) الى بلاد المغرب مع الوالى اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر دينار .

---

(١) انظر التمهيد .
(٢) ابن أبى دينار : المصدر السابق ، ص ٣٨ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢ .

كما قام التابعون بدور بارز في حركة التعريب الفكرى أمثال حنش ابن عبدالله الصنعانى الذى أنشأ فى القيروان مسجدا فى ناحية بـــاب الريح ، وعلى بن رباح اللخمى [1] الذى سكن القيروان واختط بها مسجدا عند باب نافع وغيره .

وفى الناحية الأدبية نلاحظ أن أبناء المغرب صارت لهم معرفـــة بأخبار العرب وآدابهم وأشعارهم ووقائعهم ولا بد ان ذلك تم عن طريـــق الجنود الوافدين الذين كان بعضهم من أهل الفصاحة والبـــلاغة والأدب وقد كان من هؤلاء الوافدين الذين قدموا على بلاد المغرب وشاركوا فى حروبها وساهموا فى القضاء على ثورات البربر الخوارج من تتحمس نفســه وتجيش قرائحه بأبيات شعرية فى مناسبات الوغى . ثم انه لما تضع الحـرب أوزارها كان هؤلاء الوافدين يجتمعون بأبناء المغرب يسامروهم ويرووا لهم ما يحفظونه من الأشعار فى أيام العرب ووقائعهم المروية . وسليمان ابـن حميد الغافقى (٢) واحد من أولئك الفرسان الأدباء وكان أمراء القــيروان يستعينون به فى مكافحة الواثبين عليهم فى مواقف حرجة وحاسمة وهو مـن فرسان العرب المشاهير الذين دخلوا بلاد المغرب ومن أبلغهم قـــولا

---

(١) هو أبو عبد الله على بن رباح اللخمى ، رجل فاضل وتابعى جليل قـــدم أفريقية غازيا مجاهدا تفقه أهل القيروان على يديه (المالكى : ريـــاض النفوس ، ج ١ ، ص ٧٧) .

(٢) سليمان بن حميد الغافقى : من بنى غافق دخل الى بلاد المغرب فى خلافة هشام بن عبد الملك ، وابتلى بلاء شديدا فى ثورة البربر الخوارج (حســن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مكتبـة المنار ، تونس ، ١٩٦٤ ، ص ١٣٣) .

وروايةً للشعر [1] .

وفى الناحية العمرانية نلاحظ أن سياسة الفاتحين المسلمين دائما تسير وفق نهج واحد فى انشاء المساجد والمدن الاسلامية بعد استقرار وضع الفتح الاسلامى فى البلاد المفتوحة ، ومن هنا نرى أن بلاد المغرب قاطبة أخذت الطابع الاسلامى فى العمران عن طريق انشاء المساجد كالقيروان والزيتونة وغيرها وتحويل عدد من الكنائس الى مساجد [2] . كما أدى انشاء المدن كالقيروان وتونس وغساسة [3] وغيرها الى صبغ البلاد بالصبغة العربية الاسلامية .

والواقع ان بلاد المغرب عاشت فى ظل المسلمين تنعم بحضارة راقية واستطاعت أن تبلغ درجة كبيرة من الازدهار فى ظل تلك الحضارة العربية الاسلامية [4] .

* *

---

(١) حسن حسنى عبد الوهاب : المرجع نفسه ، ص ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، طبع ونشر دار السلمى ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ، جـ ١ ، ص ١٠٨ .

(٣) غساسة : تقع غرب مليلة ، لا يعرف بانيها بالضبط ، ولكن من المحقق انها بنيت فى عهد الأمويين وكانت ميناء هاما على شاطئ البحر المتوسط . (ابراهيم حركات : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة) .

(٤) محمد الهادى الشريف : ما يجب ان تعرف عن تونس ، تعريب محمد الشاوش / ومحمد عجينه ، دار سراس ، تونس ، ١٩٨٠م ، ص ٣٩ .

الفصل الثانى
الأحوال السياسية فى بلاد المغرب فى أواخر العصر الأموى

١) انتشار مبادئ الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية فى بلاد المغرب .

٢) جهود ولاة بنى أمية فى التصدى لحركات الخوارج .

٣) امارة بنى حبيب الفهرى واعلان الخطبة للخليفة العباسى .

(١) انتشار مبادئ الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية ببلاد المغرب

حين نتحدث عن انتشار مبادئ الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية بالمغرب لابد لنا من معرفة مبدأ قيام الخوارج وتبلور حركتهم كفرقة لها آراؤها واتجاهاتها ، ثم فيما بعد انقسامهم الى عدة فرق ومدى الاختلاف بين هذه الفرق فى الآراء والاتجاهات ، وبالذات فرقتى الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية التى يهمنا أمرهما فى مجال بحثنا .

يكاد يتفق المؤرخون وأصحاب الملل والنحل فى بدء قيام حركة الخوارج فى خلافة الامام على ، كرم الله وجهه ، بعد حادثة التحكيم[(١)] . وقد افترقوا فيما بعد الى فرق كثيرة بلغت العشرين فرقة أهمها ستة فرق هى : الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، والعجاردة ، والاباضية ، والثعالبة[(٢)] .

ورغم اختلافهم الا أنهم يجتمعون على تكفير على وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضى بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما ، والاكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر[(٣)]

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، جـ ١ ، ص ١٥٧ ، - محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، مطبعة السعادة ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

(٢) الشهرستانى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٦٥ - البغدادى : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ص ٧٣ .

(٣) البغدادى : المصدر السابق ، ص ٧٣ - محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الاسلامية ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٩م ، ص ٦٧ .

كما يختلفون فى أمور كثيرة أهمها موقفهم تجاه مرتكب الكبيرة هل يكفر أم لا ؟[١] .

وفيما يختص بالخلافة فان جميع الخوارج يتفقون فى أن الخليفة لا يكون الا بانتخاب حر صحيح ، يقوم به عامة المسلمين لا طائفة منهم ، ويبقى فى منصبه مادام يطبق شرع الله ، فان انحرف أو أخطأ وجب عزله وقتله[٢] .

ويتفقون أيضا فى أن الخلافة حق لكل عربى حر ، وانه اذا أختير فلا يصح له أن ينزل عنها ، ثم أنهم خلوا تمديلا على هذا الشرط فى أواخر القرن الأول الهجرى فشرطوا الاسلام والعدل بدل العروبة والحرية لا سيما بعد انضمام كثير من المسلمين من غير العرب الى صفوفهم[٣] .

والواقع أن مبدأهم فى الخروج على الامام اذا أخطأ وقتله أو عزله أمر لا يجوز شرعا . يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم . قلنا يارسول الله : أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة . ألا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة »[٤] .

---

(١) البغدادى : المصدر السابق ، ص ٧٣ .
(٢) أبو زهره : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧١ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ط ٧ ، ١٩٦٤ ، جـ١ ، ص ٣٨٨
(٤) مسلم : صحيح مسلم ، جـ ٣ ، ص ١٤٨٢ .

ويزيد الشيخ سعيد حوى توضيح هذا الأمر قائلا : " عدم الخروج عليه الا اذا ترك الصلاة أو أظهر الكفر البواح فعندئذ يجب قتاله اذا أمكن ذلك ، أما اذا فسق فانه يستحق العزل اذا لم يترتب على ذلك مفسدة أكبر من عزله "(١) .

وتعتبر معركة النهروان سنة ٣٧ هـ التى جرت بين الامام على ، كرم الله وجهه ، وبين الخوارج . المعركة الأولى والأخيرة التى اجتمع فيها الخوارج تحت قيادة واحدة ضد عدو واحد (٢) .

ولما قتل أمير المؤمنين على ، كرم الله وجهه ، سنة ٤٠ هـ وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ، قالت الخوارج : " قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه "(٣) .

ومنذ بداية خلافة معاوية وحتى آخر العصر الأموى قامت بين الخوارج وولاة الأمويين على العراق حروب كثيرة لا يهمنا سردها فى هذا المجال . الا أن ما يهمنا منها ـ فى هذا المجال ـ هو أن ولاة الأمويين على العراق أمثال زياد بن أبيه وابنه عبيدالله ، والحجاج بن يوسف الثقفى قد نجحوا فى توجيه ضربات قاضية لنشاط الخوارج فى العراق ، الأمر الذى أدى الى ازدياد الخلاف فى الرأى بين الخوارج وانقسامهم الى عدة فرق بلغت العشرين فرقة ، وهذا أتاح لولاة الأمويين ملاحقتهم والقضاء على

---

(١) سعيد حوى : فصول فى الامرة والأمير ، مطبعة الرسالة ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢/١٩٨٢ ، ص ١٠٦ .
(٢) عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، عمان ، ١٩٧٨ ، ص ٦٤ .
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٩ .

حركاتهم حتى استؤصلت فرق من الخوارج بأكملها فى العراق (١) .

ولذلك كان عليهم أن يغيّروا من أساليبهم وذلك بنقل ميدان نشاطهم الى ولايات بعيدة عن متناول قبضة الخلافة ، ومحاولة اكتساب الموالى الى صفوفهم . وقد لقيت دعوة الخوارج الأباضية والصفرية وهما أقل فرق الخوارج تطرفا قبولا لدى البربر الذين كانوا مهيأين لذلك بسبب السياسة التى انتهجها ضدهم بعض ولاة بنى أمية (٢) .

وبالنسبة لانتشار آراء الخوارج بين البربر يهمنا من فرقهم فرقتين : الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية .

فالخوارج الأباضية أمامهم عبد الله بن أباض التميمى ، وهم أقل فرق الخوارج تطرفا وأقربهم الى أهل السنة ، وكانت نزعتهم الى السلم أميل فلم يتغالوا فى الحكم على مخالفيهم فى الرأى . فهم يرون أن مرتكب الكبيرة موحد وليس مؤمن . ويقول عبد الله بن أباض : "ان مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة ومواريثهم حلال" (٣) .

وقد تبلورت أفكار الأباضية وانتظموا فى شكل جماعة بعد عودة عبد الله بن أباض التميمى من مكة المكرمة الى البصرة بعد ذهابه اليها للدفاع عنها مع ابن الزبير ضد الجيش الأموى بقيادة الحصين بن نمير

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٥/١٩٧٥ ، ص ١٢٩ .
(٢) محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ ، ص ٣١ ومابعدها .
(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٨١ - البغدادى : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

سنة ٦٣ هـ في خلافة يزيد بن معاوية [1] .

ثم قاد جابر بن زيد الأزدى حركة الأباضية نحو مرحلة التكامل ، وهو من أهالى عمان ثم رحل الى البصرة وكان رجلا نشيطا اجتهد فى نشر دعوة الأباضية خارج نطاق البصرة وأرسل الدعاة الى مختلف المناطق [2] .

ولعل ما يعنينا فى هذا البحث هو بداية دخول المذهب الخارجى الى بلاد المغرب .

هذه البداية غير معروفة على وجه التحديد ، ولكن من المرجح أن ذلك كان فى أواخر القرن الأول الهجرى [3] .

وكانت أرض المغرب صالحة لبث مبادئ الخوارج فيها ، وذلك عائد لبعدها عن مركز الخلافة من جهة ، وحب البربر للجنوح نحو العدل والمساواة اللذين كانا قد نعما بهما - منذ الفتح الاسلامى الى ولاية يزيد بن أبى مسلم - من جهة ثانية [4] .

وقد تسارع البربر فى اعتناق المذهب الخارجى لقيامه على مبدأ

---

(١) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
(٢) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٩٨ .
(٣) صالح باجيه : الأباضية بالجريد ، دار بوسلامه للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦ ، ص ٢٣ - محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول - القسم الأول ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩ / ١٩٦٩ ، ص ١١٧ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ - محمود اسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

المساواة بين المسلمين جميعا ، الأمر الذى أعطى الأمل لأى بربرى فى الوصول الى مركز الخلافة[1] .

ولقد انتشرت تلك المبادئ بعد جهود كبيرة ودعاية واسعة قام بها الخوارج فى المغرب[2] .

كما أنها انتشرت ، فى صمت وسرية ، تحت شعار الاصلاح والدعوة للعمل بالكتاب والسنة[3] ، ويصفها ابن خلدون بطابع الباس الحق بالباطل[4] .

وأول من أدخل المذهب الأباضى الى بلاد المغرب سلمه بن سعد الحضرمى . لكن المصادر التى بين أيدينا لم تذكر سنة دخوله الى المغرب ، وكان قد بعثه من البصره ، أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمه ، الذى تولى امامة الأباضية فى البصرة سنة ٩٥ هـ . ولذلك فمن المرجح أن ارساله لسلمه بن سعد الحضرمى الى المغرب كان بعد هذا التاريخ[5] .

وقد صاحبه فى دخوله المغرب عكرمه مولى عبد الله بن عباس الذى

---

(١) دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، جـ ١ ، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، جـ ١ ، ص ١٤٧ .
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ .
(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١١٠ .
(٥) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ ، صالح باجيه : المرجع السابق ، ص ٣٤ ، عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

كان معروفا بالاتجاه الخارجى الصفرى (١) .

وكان سلمه بن سعد شديد الحرص على نشر المذهب الأباضى ، حيث يقول : " وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوما واحدا من أول النهار الى آخره فلا أسف على الحياة بعده " (٢) .

كما كان حرصه أشد على ارسال عدد من زعماء البربر الى المشرق لتلقى العلم على يد أبى عبيده مسلم بن أبى كريمه امام الأباضية آنذاك . وقد تحققت مساعيه بالفلاح حيث رحل نفر من أهالى المغرب الى البصرة ، وهؤلاء النفر هم : عاصم السدرانى ، واسماعيل بن درار الغدامسى ، وداود القبلى النفزاوى ، وعبد الرحمن بن رستم ، وانضم اليهم بعد ذلك عبد الأعلى بن السمح (٣) ، وأقاموا هناك خمسة أعوام تلقوا فيها العلم على الامام الأباضى ثم عادوا الى المغرب ولقبهم أباضية المغرب بحملة العلم (٤) .

وقد انتشر المذهب الأباضى فى القسم الشمالى من المغرب الأقصى والمغرب الأوسط ، وفى جبل نفوسه فى طرابلس حيث استقر سلمه ابن سعد وحيث تتواجد قبيلة هواره (٥) .

---

(١) عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ، ص ١٣٣ - صالح باجيه : الأباضية بالجريد ، ص ٢٤ .
(٢) صالح باجيه : المرجع السابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ .
(٤) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١٥٨ .
(٥) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ .

وقد لاقت دعوة الأباضية نجاحا ، وبصفة خاصة فى طرابلس [(١)] ، ولكن كان هذا النجاح متأخرا بالنسبة لنجاح الدعوة الصفرية التى لاقت اقبالا سريعا منذ البداية .

كما أدت انتصارات البربر على مذهب الخوارج الصفرية على العرب فى عامى ١٢٢ - ١٢٤ هـ الى تكثيف جهود دعاة الأباضية الذين توزعوا هنا وهناك وقاموا بنشاطات واسعة لنشر مذهبهم [(٢)] . وقد عينوا عليهم رئيسا هو عبد الله بن مسعود التجيبى الذى قتل فى ولاية عبد الرحمن ابن حبيب الفهرى سنة ١٢٧ هـ ، وكان مقتله بداية نشاط مسلح للأباضية [(٣)] ، كما سيأتى تفصيل ذلك فى الصفحات التالية .

وقد أدى نشاط الخوارج الأباضية ، فيما بعد ، الى قيام دولة مستقلة لها كيانها الخاص ، أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٤٤ هـ - حيث بويع بالخلافة ولقب بالامام ، وكانت عاصمته تاهرت فى المغرب الأوسط [(٤)] .

وأما الخوارج الصفرية فهم اتباع زياد بن الأصفر [(٥)] ، وهم فى آرائهم أشد من غيرهم الا أنهم أقل تطرفا من الأزارقة . فالأزارقة والصفرية

---

(١) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .
(٢) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .
(٣) عوض خليفات : المرجع نفسه ، ص ١٣٩ .
(٤) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ص ٤٦ - ٤٧ .
(٥) الشهرستانى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٤ - البغدادى : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

يرون أن أصحاب الذنوب مشركون غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم فى حين يرى الأزارقة ذلك[1] .

وكان بداية ظهور الصفرية ، كفرقة مستقلة ، فى خلافة يزيد ابن معاوية (٦٠ - ٦٣ هـ) حين خرج أبو بلال مرداس - الذى يجمع الصفرية على القول بإمامته - على الخليفة يزيد بن معاوية بناحية البصرة ، ولم يستهدف حربا فلم يتعرض للناس بسوء . وكان هدفه اعلان استقلاله عن الأمويين وقد بعث اليه الخليفة يزيد بن معاوية عبد الله بن زياد فقتله[2] .

وأول من أدخل المذهب الصفرى الى بلاد المغرب هو عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، الذى صاحب سلمه بن سعد فى رحلته الى بلاد المغرب ، ولعل ما يثير الدهشة هو دخول رجلين الى بلد واحد كل منهما يدعو الى مذهب مختلف ..

ويوضح الدكتور عوض خليفات هذا الأمر بقوله " ... فان ظهور داعيتين من الخوارج أحدهما أباضى والآخر صفرى مجتمعين فى رحلة واحدة يدل دلالة واضحة على أن الخوارج فى شمال أفريقية كانوا يقومون - فى بداية الأمر - بالدعاية للمبادئ العامة ، التى نادت بها معظم الفرق الخارجية وخاصة الصفرية والأباضية مركزين على مبدأ المساواة بين المسلمين ، دون اعتبار للمبادئ التى انفردت بها كل فرقة "[3] .

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٩١ .
(٢) أبو زهرة : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٨٤ .
(٣) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

وقد اتخذ عكرمة القيروان مقراً له وأخذ يدعو الى مذهبه سراً[١]. واتصل بعدد من رؤساء وأفراد القبائل ، وأخذ عنه المذهب ميسرة المطغري زعيم أول ثورة ضد السلطة الحاكمة فى المغرب[٢].

كما اتصل شيخ قبيلة مكناسة أبو القاسم سمكو بن واسول بعكرمة وتلقى منه أصول المذهب[٣] ولازمه فترة حياته[٤].

أما قبيلة برغواطه فاعتنقت المذهب الخارجى على يد زعيمهم طريف ابن شمعون الذى أخذ المذهب عن عكرمة فى القيروان[٥] ، وكان من قواد ميسرة القائم بدعوة الصفرية . لكن لما انتهى أمر ميسرة - على ما سيأتى تفصيله ان شاء الله - ظل طريف قائما بأمر برغواطه بتاستا[٦]. ويقال انه تنبأ وشرّع لقومه شرائع جديدة ثم مات وعين ابنه صالح مكانه[٧]. وكان صالح هذا كثير الزيغ والانحراف ، ويصفه ابن ابى زرع بقوله " كان صالح بن طريف الذى ادعى فيهم النبوءة ، رجلا خبيثا يهودى الأصل من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام " ..... وشرع لهم الديانات التى أخذوها عنه وذلك سنة خمس وعشرين ومئة[٨].

---

(١) عوض خليفات : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٢) عوض خليفات : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٤٩ .
(٤) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .
(٥) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
(٦) تاستا : قرية بالمغرب بالقرب من سبلة تسكنها كامة وزناته . (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٧) .
(٧) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
(٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القوطاس ، الرباط ، طبعة محمد خلالى ، ١٩٣٦ ، ص ١٣٠ .

كما انتشر المذهب الصفري بين قبائل زناته وخاصة فى بنى يفرن . يقول ابن خلدون : "لما فشا دين الخارجية فى المغرب ، وغلبهم الخلفاء بالشرق نزعوا الى القاصية ، وصاروا يبثون بها دينهم فى البربر .... ففشا فى البربر وضرب فيه بنو يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه "(١) .

وقد لقى المذهب الصفرى قبولا فى بداية الأمر أسرع من المذهب الأباضى ، وأحرز الصفرية نجاحا أكثر من نجاح الأباضية لأنهم بشروا بمبادئ أكثر تطرفا ، جاءت ملبية لرغبة البربر فى الثورة على السلطة الحاكمة ، ونادوا بالثورة السريعة دون المرور بمراحل مختلفة كما فعل الأباضية(٢) .

فمذهب الصفرية يتسم بالتطرف ، الأمر الذى دفع بالصفرية الجدد من البربر الى التطلع السريع نحو انشاء حكومة بربرية دينها الاسلام والبربرية لغتها وقد ظهرت هذه النزعة فى برغواطه التى كانت تدين بالديانة التى شرعها لها صالح بن طريف الذى تسمى بصالح المؤمنين(٣) .

وقد انتشرت الصفرية وتمركزت فى القسم الجنوبى من المغرب الأقصى فى المناطق الجبلية الممتدة من السوس الأدنى الى جبال درنه(٤) .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ١١ .
(٢) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ .

ولقد أحرزوا انتصارا كبيرا بانشاء دولة على المذهب الصفرى هى دولة بنى مدرار سنة ١٤٠ هـ التى قامت فى سجلماسه فى جنوب المغرب الأقصى [1].

(١) احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٥ - ٤٦

(٢) جهود ولاة بنى أمية فى التصدى لحركات الخوارج

من المهم ونحن نتحدث عن جهود ولاة بنى أمية فى التصدى لحركات الخوارج أن نتناول أسباب ثورة الخوارج فى بلاد المغرب ، ذلك أن عوامل كثيرة أسهمت فى اذكاء نار هذه الثورة . ومن أهم هذه العوامل :

١ - سوء سياسة بعض ولاة بنى أمية فى البربر ومعاملتهم السيئة لهم مثل يزيد بن أبى مسلم ، وهو ما أشرنا اليه آنفا .

٢ - ميل بعض الولاة نحو ارضاء الخليفة فى دمشق ، على حساب البربر ، بغض النظر عن نتائج تلك المصانعة ، وانعكاساتها على استقرار أمور الدولة داخليا وخارجيا ، وعلى نفسيات الشعوب التى دخلت فى الاسلام طواعية آملة فى التمتع بما ينادى به من المساواة والعدالة ، فاذا بها بعد ذلك تعانى من القائمين بتنفيذ أحكام الاسلام - لا من الاسلام ذاته - أقسى معاملة مثلما حدث فى عهد عبيدالله بن الحبحاب (١١٦ - ١٢٣ هـ) .

والحق ان سياسة الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ هـ) كان لها دور كبير فى اشعال غضب البربر . فقد كان الخليفة هشام يحب المال مع اتصافه بالبخل (١) . على أنه لم يكن يحب جمعه لنفسه

(١) المسعودى : مروج الذهب . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة . بيروت ، ١٤٠٣ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ .

وانما كان يهدف من وراثه مصلحة شعبه [١] . ولهذا قام بالعديد من المشاريع كحفر الأنهار واقامة السدود والقناطر وتنظيم وسائل الرى [٢] .

أضف الى ذلك أن الدولة الأموية بلغت أحوالها المالية فى عهد هشام بن عبد الملك غاية السوء . وقد حاول الخليفة هشام اصلاح هذه الأحوال ، فمثلا لم يكن يقرر الأعطيات الا فى الحالات الموجبة لها . لكن الدولة كانت تنفق نفقات باهظة فى النواحى المختلفة جعلت الخليفة هشام بن عبد الملك يحرص أشد الحرص على جمع المال [٣] . وقد ترك أموالا كثيرة فى بيت مال المسلمين بعد وفاته [٤] .

ولهذا كان الولاة فى بعض الأقاليم يسيرون وفق سياسة الخليفة هشام بن عبد الملك فيحرصون على جمع المال لارضائه . وكان عبيد الله ابن الحبحاب قبل أن يوليه الخليفة هشام بن عبد الملك ولاية المغرب سنة ١١٩ هـ عاملا على خراج مصر . وقد سبق أن أشرت الى سياسته الشديدة فى جباية الخراج من المصريين ارضاء للخليفة هشام وسياسته فى المغرب كانت استمرارا لسياسته المالية فى جباية الخراج فى مصر ، ولنقل ان نجاحه فى مصر هو الذى دفع الخليفة هشام الى توليته ولاية المغرب .

---

(١) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٠١ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٦١ .
(٢) فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .
(٣) فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .
(٤) فرج محمد الهونى : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

لقد سلك عبدالله بن الحبحاب كل سبيل لا رضاء ميول الخليفة في جمع الأموال . وفي ذلك يذكر ابن عذارى " وكان الخلفاء بالشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها الى عامل أفريقية فيبعثون لهم البربريات السنيات ، فلما أفضى الأمر الى ابن الحبحاب منّاهم بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان فاضطر الى التعسف وسوء السيرة "[١] .

والجدير بالذكر أن نفوس البربر كانت مهيأة للثورة على حكام الأمويين منذ عهد الوالي يزيد بن أبي مسلم الذي كان عهده بمثابة مقدمة لثورة عارمة ستجتاح المغرب[٢] . ولعل مقتله بعد شهر من ولايته قد نبه الخليفة آنذاك يزيد بن عبدالملك الى نتائج سوء سياسة البطش ، فاستجاب للبربر بتعيين وال آخر هو بشر بن صفوان .

على أن تعيين بشر بن صفوان لم يغير الوضعية العامة في بلاد المغرب ، لسوء سياسته مع آل موسى بن نصير الذين كان البربر يكنون لهم الود والاحترام[٣] .

وفي ولاية عبيدة بن عبدالرحمن السلمي بدأت مرحلة جديدة من المواجهة بين عمال بني أمية والبربر . فقد كانت سياسته الاقتصادية هي الاداة التي دمرت ماتبقى من مظاهر التعايش بين الطرفين حيث

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٢ .
(٢) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٣٥١ .
(٣) ابن عبدالحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

اقترنت بالأساليب القمعية المتطرفة[١] .

ولما كان الخليفة هشام بن عبد الملك يثق فى كفاءة عبيد الله ابن الحبحاب فقد أطلق يده فى العمل فى بلاد المغرب ومنحه من الصلاحيات ما لم يعط سواه فى ذلك الوقت[٢] .

لقد سار ابن الحبحاب على نهج استهدف من ورائه تحقيق مطامع أسياده فى الشرق ، اذ كان الخليفة هشام بن عبد الملك يستحسب طرائف المغرب ويكتب الى عامله بطنجه ان يرسل اليه " جلود الخرفان العسلية " التى تسلخ من جلود سخال الضأن عند ولادتها أى قبل أن تصبح خشنة بنمو الخراف ، فيصنعون منها الجباب الصوفية الناعمة ، وكان الخليفة هشام يؤثر اللون العسلى . ولما كان من العسير التوصل الى خراف وليدة بهذا اللون ، فقد عمد ابن الحبحاب الى النعاج الحاملة فأمر ببقر بطونها واستخراج أجنتها بحثا عن تلك الجلود العسلية[٣] . وقد تذبح مائة شاة ، فربما لا يوجد فيها جلد واحد من اللون المطلوب[٤] . فكان ذلك مما أثار الأهالى لما فى ذلك ضياع لأموالهم وانتهاك لحرماتهم

---

(١) دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ، ص ١٢٩ ـ ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٥٢ .
(٢) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ١٠٣ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .
(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ ، ص ٣٧ .

دون أن يكون فى استطاعتهم الوقوف امام هذا التصرف الظالم من الوالى الأموى على بلادهم [١].

كما كان تعصب ابن الحبحاب القوى للعرب ضد البربر ما أثار حفيظة البربر عليه . فقد كان يدفع بالبربر لحصار المدينة التى يبغى فتحها ، ويقدمهم فى الجيش المحارب ليهلكوا دون سائر الناس ثم يحرمهم بعد ذلك من العطاء [٢].

ولم يكن باقى عمال بنى أمية على النواحى فى بلاد المغرب أقل عسفا بأهالى البلاد من ابن الحبحاب . اذ كان عمر بن عبيد الله المرادى عامله على طنجه سئ السيرة فى أهلها ، فيقول عنه ابن عذارى : "وتعدى فى الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر وزعم انهم فئ للمسلمين وذلك مالم يرتكبه عامل قبله ، وانما كان الولاة يخمسون من لم يجب للاسلام ، فكان فعله الذميم هذا سببا فى انتقاض البلاد ، ووقوع الفتنة العظيمة المؤدية الى كثير من القتل فى العباد " [٣].

كذلك كان ابنه اسماعيل واليه على السوس يحفز البربر ويثيرهم بعسفه وسوء تصرفه " وذاع فوق ذلك أنه ينوى أن يعتبر مسلمى البربر كالنصارى فيئا وغنيمة ، وأن يفرض الأخماس عليهم . فذكا الهياج واستفحل [٤].

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ ـ محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .
(٢) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٥٦ .
(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٢ ـ السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ـ عبد الله العروى : المغرب محاولة فى التركيب ، ترجمة : ذوقان فرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٧ ، ص ٥٩ .
(٤) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١١٩ .

كل هذه الأمور مجتمعة ما كان منها من الخليفة ذاته أو من الوالي أو من عماله كانت سببا قويا في دفع البربر نحو الثورة . ولعل ما ساعد البربر وشجعهم على الخروج انتشار مبادئ الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية في بلاد المغرب آنذاك وما فيهما من دعوة الى المساواة بين المسلمين جميعا ، ومن جواز الخروج على الامام اذا أخطأ أو انحرف . يقول أحمد بدر : "ان الظلم وحده على فرض وجوده ، لا يكفي لقيام الثورة مالم تتوفر فيئةٌ تجسم المظالم وتضخمها في أعين الناس وترسم لهم طريق تقويض الحكم القائم . وقد توفر ذلك في المغرب على يد الخوارج من الصفرية والأباضية " (١) .

وعلى الرغم من أن نفوس البربر كانت تئن من عسف ولاة بني أمية بهم وتحفزهم للخروج على عمالهم والثورة ضدهم ، الا أنهم فكروا في اصلاح الموقف سلما قبل رفع السلاح واعلان الحرب .

اذ قام زعيم قبيلة مطغرة ميسرة السقاء مع نفر من البربر بزيارة دمشق لعرض ما يعانيه البربر من الولاة الأمويين على الخليفة هشام بن عبد الملك فربما لا يكون على علم بما يحدث للبربر من واليه على بلاد المغرب ، فيكف يده عنهم . وقد أصاب البربر في خطوتهم تلك كثيرا جدا ، وأصروا على التأكد من مصدر تلك السياسة متبعين المبدأ القائل : "لا نخالف الأئمة بما تجني العمال " (٢) .

---

(١) أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٥٤ .

وقد أقام الوفد بدمشق ينتظر مقابلة الخليفة لعرض شكواهم ، لكن مقامهم طال دون جدوى . فأبلغوا شكواهم الى الأبرش وكان بمثابة الوزير للخليفة هشام بن عبد الملك ، على أن الأبرش لم يهتم بالشكوى ولم يبلغها للخليفة[1] . وفى هذا يقول الطبرى : " ... فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم الى زمان هشام بن عبد الملك ، أحسن أمة سلاماً وطاعةً ، حتى دبّ اليهم أهل العراق ، فلما دبّ اليهم دعاة أهل العراق واستشاروهم ، شقّوا عصاهم ، وفرّقوا بينهم الى اليوم . وكان من سبب تفريقهم أنهم ردّوا على أهل الأهواء ، فقالوا : انا لا نخالف الأئمة بما تجنى العمّال ، ولا نحمل ذلك عليهم ، فقالوا لهم : انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا لهم : لا نقبل ذلك حتى نبورهم[2] ، فخرج ميسرة فى بضعة عشر انساناً حتى يقدم على هشام ، فطلبوا الاذن ، فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش ، فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فاذا أصاب نفلهم دوننا وقال : هم أحق به . فقلنا : هو أخلص لجهادنا ، لا نأخذ منه شيئا ، ان كان لنا فهم منه فى حل ، وان لم يكن لنا لم نُرِده . وقالوا : اذا حاصرنا مدينةً قال : تقدموا وأخّر جنده ، فقلنا : تقدّموا ، فانه ازدياد فى الجهاد ، ومثلكم كفى اخوانه ، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم . ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا ، فجعلوا يبقرونها على السّخال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة فى جلد ، فقلنا : ما أيسر هذا لأمير المؤمنين !

---

(١) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٢) نبورهم : نختبرهم .

فاحتملنا ذلك ، وخلّيناهم وذلك. ثم انهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا فى كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ، فأحببنا أن نعلم : أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ قال : نفعل . فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم ، كتبوا أسماءهم فى رقاع ، ورفعوها الى الوزراء ، وقالوا هذه أسماؤنا ، وأنسابنا ، فان سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه "(١) .

موقعة يقدوره فى سنة ١٢٢ هـ :

كان فشل وفد البربر فى مقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك يعتبر مؤشرا نفسيا قويا دفع بالثورة الى مرحلة الانفجار ، فاستغل الثوار فرصة غياب معظم جند العرب بقيادة حبيب بن أبى عبده الفهرى فى غزو صقلية (٢) ، وأطنوا الثورة على عبيد الله بن الحبحاب ،واختاروا مكانا مناسبا للثورة حيث انفجرت ثورتهم فى منطقة السوس الأدنى ، على ساحل المحيط ملتقى المتذمرين من البربر (٣) .

وكانت هذه الحركة بقيادة ميسرة المطغرى السقاء الصفرى بطنجه ، وانتفضت البربر هناك على عامل ابن الحبحاب عمر بن عبيد الله المرادى وكان ذلك فى ١٥ رمضان سنة ١٢٣ هـ (٤) . وقد انضمت اليهم قبائل مكناسة

(١) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٤ ،ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
(٢) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٦ - الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
(٣) ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٥٤ .
(٤) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٨ - ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .

وبرغواطة بزعامة صالح بن طريف وغمارة [١] . كما انضم اليهم الأفارقة فى طنجة بزعامة عبد الأعلى بن جريج .وبايع الجميع ميسرة بالامامة وخاطبوه بأمير المؤمنين ، وفشت مقالته فى سائر القبائل ببلاد المغرب [٢] . ففى سنة ١٢٢ هـ خرج ميسرة المطغرى على عمر بن عبد الله المرادى بطنجة وقتله وولى مكانه عبد الأعلى بن جريج الأفريقى الرومى من موالى موسى ابن نصير [٣] . ثم سار ميسرة بجموعه الى السوس وعليها اسماعيل ابن عبيد الله بن الحبحاب فهزمه وقتله [٤] . فقويت بذلك شوكة البربر واستفحل أمرهم . واندفعوا مع زعيمهم ميسرة الى عدد من المدن فخربوها ولم يتمكن أحد من ردهم [٥] .

وبدأ عبيد الله بن الحبحاب فى التحرك الفعلى رغم تحرج موقفه ، فقسم كبير من جيشه خارج البلاد يغزو فى صقلية ، أضف الى ذلك أن سيطرة ميسرة على طنجة أدت الى أن يفقد قوة فعالة ساعدة له هناك . فكتب الى حبيب بن أبى عبده الفهرى الذى يغزو صقلية بالعودة السريعة [٦] . ثم جهز جيشا من خيرة رجاله جعل على مقدمته خالد

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٤ .
(٣) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٨ .
(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٩٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٢ .
(٥) محمد ولداده : مفهوم الملك فى المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧م ، ص ٧٠ .
(٦) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١١٠ - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٣ .

بن حبيب بن أبى عبده الفهرى وسيره الى البربر الشوار[١] .

سار جيش خالد بن حبيب بن أبى عبدة الفهرى من القيروان حتى وصل الى وادى شلف بالقرب من تاهرت وهناك التقى بجيش والده حبيب ابن أبى عبدة الذى عاد من صقلية ، فمكث حبيب فى تلك المنطقة فى حين سار خالد بجيشه نحو طنجه[٢] . فلقيه ميسرة بجموعه عند ظاهر طنجه ودارت بين الطرفين معارك شديدة غير حاسمة[٣] . على أن خيرالله طلفاح يذكر أن تلك المعارك تم النصر فيها لخالد بن حبيب ، وعلى أثر ذلك عاد ميسرة الى طنجة[٤] ، فأنكرت عليه البربر سيرته وتغييره عما كانوا بايعوه عليه فقتلوه[٥] . ولعل هزيمته أمام جيش ابن الحباب كانت سببا فى تنحيته عن القيادة[٦] .

آلت زعامة البربر وقيادة ثورتهم بعد ذلك الى رجل من قبيلة زناته يدعى خالد بن حميد الزناتى ، الذى قادهم وجهز جيشهم ، وزحف لملاقاة جيش ابن الحبحاب الذى كان على مقدمته خالد بن حبيب الفهرى . والتقى الجيشان على وادى شلف حيث دارت بينهما معركة طاحنة انتهت

---

(١) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١١٠ ـ ابن عبدالحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
(٢) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .
(٣) محمد عبدالله عنان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٩ .
(٤) خيرالله طلفاح : حضارة العرب فى الأندلس ، ج ٦ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٧/١٩٧٧ ، ص ٤٤ .
(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٣ ـ ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .
(٦) محمود اسماعيل عبدالرزاق : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

بهزيمة جيش ابن الحبحاب ومقتل قائد الجيش خالد بن حبيب وجمع كبير من أشراف قريش فسميت الغزوة لذلك بغزوة الأشراف ، وكان ذلك ما بين سنتي ١٢٢ و ١٢٣ هـ [١] .

اهتز عبيد الله بن الحبحاب لهذه الهزيمة فحاول تدارك الوضع بأن أرسل عبد الرحمن بن المغيرة واليا على تلمسان ليحول بين الثوار وتوسعهم في أنحاء أخرى في المغرب [٢] . وقام عبد الرحمن بن المغيرة بمحاربة الصفرية فقتلهم قتلا ذريعا حتى سُمي (الجزار) ، وقد أدى ذلك الى ايجاد موجة من السخط عليه انتهت بارغامه على مغادرة البلاد [٣] .

ثم أرسل عبيد الله بن الحبحاب قوات جديدة تحت قيادة حبيب بن أبي عبدة الفهري الذي سار حتى وصل الى وادي شلف ثم تقدم نحو تلمسان التي لم تكن قد سقطت بعد في أيدي الثوار فعزل واليها السابق موسى بن أبي خالد مولى معاوية بن حديج بتهمة التحريض على الثورة [٤] .

ويبدو من خلال المصادر أن حبيب بن أبي عبدة الفهري لم يتمكن من احراز انتصارات على قوات الثوار ، مما جعل الأمور تضطرب على

(١) ابن عذاري : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٥٣ - الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص ١١٠ - السلاوي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٩ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩١ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ .

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ .

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ .

عبيد الله بن الحبحاب الأمر الذى أدى الى اجتماع أعيان العرب فى القيروان وقيامهم بعزل عبيد الله بن الحبحاب وذلك فى جمادى الأولى سنة ١٢٣ هـ (١) .

ولما علم الخليفة هشام بن عبد الملك بأنباء هذه الأحداث قال : " والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندى . ثم كتب ابن الحبحاب بقدومه عليه " (٢) .

جهود كلثوم بن عياض فى التصدي لحركات الخوارج :

عين الخليفة هشام بن عبد الملك والياً جديداً على بلاد المغرب هو كلثوم بن عياض القشيرى وذلك فى جمادي الثانية سنة ١٢٣ هـ (٣) . وبعث معه جيشاً كبيراً من أهل الشام ، فأخرج من كل جند من أجناد الشام الأربعة ـ دمشق ، حمص ، الأردن ، فلسطين ـ ستة آلاف مقاتل ، ومن قنسرين ثلاثة آلاف ، فكان مجموع أفراد الجيش سبعة وعشرين ألف مقاتل (٤) .

كما بعث معه أدلاء على الطريق لهم معرفة بالمغرب والأندلس هما : هارون القرنى مولى معاوية بن هشام ، ومغيث الرومى مولى الوليد ابن عبد الملك . وجعل له نائبين ان هلك : ابن أخيه بلج بن بشر ، فان هلك بلج ، خلفه ثعلبة بن سلامة العاملى (٥) .

(١) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٩ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ .
(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعه ، ص ٣٧ .

سار كلثوم بجيشه فلما وصل الى مصر انضم اليه ثلاثة آلاف من أهلها فتم بعثه ثلاثين ألفاً من أهل الديوان ، سوى من تبعهم من الناس [(١)] .

وكان الخليفة هشام بن عبد الملك قد أعطى كلثوم بن عياض القشيرى سلطات مطلقة فى البلاد التى يمر عليها ، وكتب الى عماله فى مصر والمغرب بتقديم العون له من الرجال والأموال [(٢)] . فانضم اليه جيش من أهل طرابلس وبرقة ، وكان كلما وصل الى بلد انضم اليه جند هنا حتى صار عدد جيشه سبعون ألفاً ، وقد وصل كلثوم بجيشه الى المغرب فى رمضان سنة ١٢٣ هـ [(٣)] . وبدلاً من أن يدخل القيروان نزل فى مكان يسمى سبيبه على مسيرة يوم واحد من القيروان [(٤)] .

الصراع بين البلديين والشاميين :

فى هذه الفترة الحرجة ، والتى تحتاج الى تكاتف الجهود معا للقضاء على اضطرابات الخوارج من البربر ، نشب صراع بين العرب البلديين الذين يسكنون أرض المغرب منذ الفتح الاسلامى ومعظمهم من عرب اليمنية ، وبين الجند الشامى القادم الجديد تحت قيادة كلثوم

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(٣) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ .
(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ - الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

ابن عياض القشيري وهم من القيسية [١] .

ويبدو أن شدة القائد بلج بن بشر مع السكان كانت سببا في وقوع ذلك الصراع ، فيروى أنه قال لهم بجفاء : " لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم " [٢] . وكان وقع مقالة بلج بن بشر للأهالي شديداً على نفوسهم ما أغضبهم فكتبوا الى حبيب بن أبي عبدة الفهري - الذي كان بتلمسان - يشكون اليه سوء معاملة جيش الشام ذاكرين له مقالة بلج لهم ، حيث قالوا في شكواهم : " انك توافق عدواً ، وهذا عدوّ قد نزل بنا يريد نزول ديارنا " [٣] . فكتب حبيب بن أبي عبدة الفهري الى كلثوم يخبره بصنيع بلج بن بشر بالعرب المقيمين في المغرب ويأمره بالكف عن مثل هذه التصرفات [٤] . فأرسل كلثوم الى حبيب يعتذر ويأمره أن يقيم بشلف حتى يقدم عليه [٥] .

والواقع أن أهل الشام كانوا مزهوين بكثرة عددهم ، وبما أباح لهم الخليفة هشام من الاباحات ، على حين كان البلديون قد حطمت نفوسهم كثرة الوقائع بينهم وبين البربر الخوارج ، ولكن رغم ذلك لم يرضوا أن يكونوا موضع استهتار وسخرية بعد بلائهم العظيم وتضحياتهم الرائعة [٦] .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٨ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٦ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
(٣) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص ١١٢ .
(٤) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٥) ابن عذارى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٦) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ .

ورغم اعتذار كلثوم لحبيب الا أن النفوس كانت تحمل آثاراً من الماضي منذ وقعة الحره التي حدثت في سنة ٦٣ هـ في خلافة يزيد بن معاوية . فيتحدث ابن عبد الحكم عن اللقاء بين كلثوم وحبيب ، حيث يذكر ان كلثوم ابن عياض صعد على برجه المتنقل وخطب في الناس ، وأهان في خطبته حبيب بن أبي عبده وشتمه وأهل بيته[1] . كما أن بلج بن بشر استهان بحبيب عندما لقيه[2] . وأخذ الحماس عبد الرحمن بن حبيب - وكان حدث السن - وضاف بما نال أباه على يد كلثوم وبلج وصاح بالناس السلاح ! السلاح ! ومال أهل أفريقية الى ناحية وانضم اليهم أهل مصر ، ومال أهل الشام الى ناحية ، وكاد القتال أن يقع بين الطرفين لولا تدخل أهل الفضل والحكمة في الصلح[3] .

اللقاء بين جيش كلثوم والبربر (موقعة بقدورة سنة ١٢٣ هـ) :

سار كلثوم بن عياض بقواته نحو طنجة ، بعد أن استخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفاري ، وعلى الحرب مسلمة بن سواده القرشي . وقسم كلثوم خيله الى قسمين : خيالة أهل الشام عليها بلج بن بشر ، وخيالة أهل أفريقية عليها هارون القرني ، بينما كان كلثوم على رجالةٍ من أهل الشام ومغيث الرومي على رجالةٍ من أهل أفريقية الى جانب قوات حبيب ابن أبي عبده[4] .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٩٥ .
(٢) ابن عبد الحكم : نفس المصدر والصفحة .
(٣) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص ١١٧ .
(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

وكان اللقاء بين قوات جيش الخليفة وبين البربر فى ذى الحجة ١٢٣ هـ عند بليدة بقدورة الواقعة على نهر وادى سبو بالقرب من مدينة تاهرت[1] . وكانت حشود البربر بقيادة خالد بن حميد الزناتى من الكثرة بحيث أفزعت الوالي الأموي كلثوم بن عياض وجيشه . وقد اقترح عليه خاصته - بعد ان طلب استشارتهم - أن يقيم خندقاً يحيط بمعسكر المسلمين واستخدام نظام الكتائب التى تخرج لمقاتلة العدو ثم تعود لمواقعها[2] . وأوشك كلثوم أن يعمل بمشورتهم لكن بلج بن بشر عارض الرأي ، واستخف بالبربر رغم كثرتهم ، لتجردهم من السلاح ، وكان كلثوم لا يعصيه كما يقول صاحب كتاب أخبار مجموعة[3] .

بدأ القتال بين الطرفين ، ووجه كلثوم بلجاً ليلاً ، فسرى ليلته حتى الصباح حيث اشتبك مع جنود خالد بن حميد الزناتى ، الذين قابلوه عراةً متجردين . وقد استعمل البربر الحيلة فى حربهم مع جيش الخليفة فكانوا يستقبلون خيل بلج بالجلود اليابسة المحشوة بالحجارة لارغام خيل أهل الشام على التراجع ، كما عمدوا الى الرمك الصعبة[4] فعلقوا فى أذنابها القرب والأنطاع اليابسة ثم وجهوها نحو عسكر كلثوم ،

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣١٠ - عمر فروخ : الدولة الأموية وصدر للاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٦م ، ص ١٨٥ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ .

(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٨ .

(٤) الرمك : جمع رمكة وهى : الفرس (مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٨ حاشية ٣) .

فنفرت الخيل [١] ، وذلك ليجبروا جيش كلثوم على الحرب رجّالة لافتقارهم الى الخيول [٢] .

وقد اضطرب نظام جيش كلثوم ، وفشل بلج فى ايقاف تقدمهم -وكان معه سبعة آلاف فارس- ، واختلطوا بجيش الشام [٣] . وحاول بلج انقاذ الوضع بحملةٍ خاطفة ، لكنها أدت الى نتائج عكسية . اذ فصل الثوار بين قوات بلج وبين القوات الرئيسية وعليها كلثوم ، وأحيط بلج بجماعات من البربر [٤] ، فاتجه خالد بن حميد نحو كلثوم بن عياض . وكان البربر من الكثرة ، الأمر الذى أدى الى هزيمة جيش كلثوم ، ومقتل عدد كبير من وجوه العرب ، مثل حبيب بن أبى عبده ، ومغيث الروسى ، وهارون القرنى [٥] . كما انهزمت قوات أفريقية من الرجّالة والخيالة الا عبد الرحمن بن حبيب الذى كان مع قوات بلج بن بشر [٦] .

ثم شددت البربر ضرباتها على كلثوم بن عياض ، الذى وقف على منعته ، رافعاً رايةَ قيادته ، طالباً من أصحابه الدفاع عنه اذا نالته سيوف الخوارج [٧] . ثم نادى فى أصحابه فدافعوا عنه دفاعاً بسيطاً وهو

---

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ،ص ٣٨ .
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ .
(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٨ .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المصدر السابق ، جـ ١ ،ص ٢٩٨ .
(٥) سعد زغلول عبد الحميد : المصدر السابق ، جـ ١ ،ص ٢٩٨ .
(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٥ ،ص ١٩٣ .
(٧) سعد زغلول عبد الحميد : المصدر السابق ، جـ ١ ،ص ٢٩٨ .

يردد قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ [١] . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [٢] . فبينما هو كذلك شدت البربر عليه فوقع صريعاً ، ولم تؤخذ الراية من بعده ، فكانت هزيمة فادحة لجيش الخليفة [٣] . وتبع البربر العرب قتلاً وتشريداً ، وصار الجيش على ثلاثة فرق : " فثلث أهل الجيش مقتول ، وثلث منهزم ، وثلث مأسور " [٤] .

أما بلج بن بشر فكان فى المؤخرة ومعه عبد الرحمن بن حبيب وثعلبة ابن سلامه يقاتل خصومه لكنه لم يتمكن منهم لكثرتهم ، لا سيما بعد القضاء على كلثوم ، وانضمام باقى الجيش المنتصر الى البربر ، الذين يقاتلون بلجاً [٥] . وقد اضطر بلج الى الانسحاب ، فوصل الى طنجة وحاول دخولها لكنه وجدها قد ضُبِطت من قبل البربر ، فسار نحو سبتة فدخلها وامتنع بها [٦] .

أقام بلج ومن معه فى سبتة الحصينة ، ثم أرسل اليه البربر جيشاً لقتاله ، فهزم بلج ذلك الجيش . ثم أرسلوا اليه جيشاً آخر تحت قيادة زعيم البربر الثانى - سالم الهوارى ، فقتل بلج قائد الجيش سالم الهوارى وهزمه ، فأرسلوا له جيشاً ثالثاً ورابعاً وخامساً وكان بلج يهزم جيوشهم

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١١١ .
(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٤٥ .
(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٩ .
(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣٩ .
(٥) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .
(٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٠ .

فى كل مرة[(١)] . فلما رأى البربر قوة بأس بلج قطعوا عنه الميره والزاد ، وخربوا الأراضى العامرة بالخيرات ، ونجحوا فى التضييق على بلج ومن معه حتى " انقطع عنهم المعاش ، فجاعوا حتى أكلوا دوابهم "[(٢)] .

ولما اشتد الحصار على بلج ومن معه طلبوا العون من عرب الأندلس ، غير أن والى الأندلس عبد الملك بن قطن رفض مساعدتهم خوفاً منهم على سلطانه[(٣)] . بينما أشفق عليهم رجل من هناك يدعى عبد الرحمن بن زياد ابن الأحرم فبعث لهما مركبين مشحونين بالميره[(٤)] . فلما سمع عبد الملك بذلك ضرب عبد الرحمن بن الأحرم سبعمائة سوط وسمل عينيه وضرب عنقه وصلب عن يساره كلباً[(٥)] .

فى هذه الفترة خرج بربر الأندلس على واليهم ابن قطن تأسياً بتمرد اخوانهم فى المغرب وعينوا عليهم اماماً منهم ، وأنزلت قواتهم هزائم متعددة بجيش ابن قطن[(٦)] . ولذلك لم ير ابن قطن بُداً من الاستنجاد ببلج بن بشر ومن معه ، فأرسل لهم السفن والميره وطلب منهم القدوم على أن يعطوه رهائنهم[(٧)] ، فاذا قضوا على التمرد والفتنة

---

(١) المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٦٩ هـ ، جـ ٤ ، ص ١٩ .
(٢) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٠ .
(٣) المقرى : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٩ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .
(٤) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٢ .
(٥) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٢ .
(٦) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٢ .
(٧) المقرى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

يحملهم جملة الى أفريقية ولا يعرضهم للبربر [١] . وبالفعل أن خلهم الى الأندلس سنة ١٢٣ هـ ، وأسبغ عليهم النعم ثم جهز جيوشهم لقتال البربر وجعل على جند هم ابنيه قطناً وأميه ، والتقوا بجموع البربر الكثيفة ، ودارت بين الطرفين معركة حامية صعب فيها المقام كما يقول المقرى [٢] . وانتهت بهزيمة البربر ، وصار العرب يتتبعونهم قتلاً حتى لحقوا بالثغور [٣] .

هذا وقد وصل صدى الثورة فى المغرب الأقصى الى المغرب الأدنى واشتدت جذورها الى هناك لاسيما بعد الانتصارات العظيمة التى أحرزها البربر على جيوش الخليفة هشام بن عبد الملك . كما كانت تلك الانتصارات نذيراً باشتعال الثورة فى كل بلاد المغرب من طرابلس الى الأندلس ، وتعنى أيضاً الى جانب ذلك كله انتصار المذهب الخارجى فى بلاد المغرب [٤] .

ثورة عكاشة الفزارى :

وبعد خروج كلثوم بن عياض الى طنجة لقتال البربر بقيادة خالد ابن حميد الزناتى هناك خرج عكاشة بن أيوب الفزارى فى منطقة قابس [٥] ، واشتدت ثورته الى سبرته حيث أرسل أخا له الى هناك ، فصارت القيروان بذلك محصورة بين الثوار من الشرق والغرب ، واجتمعت لهما قبائل من زناته سارا بها نحو المدينة الجديدة التى عرفت بسوق سبرت [٦] .

(١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٤٣ .
(٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠ .
(٣) المقرى : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ .
(٥) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
(٦) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

وقد اختار أخو عكاشة يوم الجمعة حيث اجتمع الناس وعلى رأسهم عامل سبرت حبيب بن ميمون فى المسجد وحاصرهم[١] .

ولما بلغ ذلك الخبر الى صفوان بن أبى مالك أمير طرابلس جهز جيشاً سار به الى أخي عكاشة الفزارى وكان مايزال يضرب حصاره على أهالى سبرت فقاتله وتمكن من هزيمته . وفر أخو عكاشة الى أخيه بقابس وقد قتل كثير من أتباعه من زناته وغيرها[٢] .

أما عكاشة نفسه فقد خرج اليه نائب كلثوم بن عياض على الحرب سلمة بن سواده ومعه أهل القيروان ، لكنه لم يستطع الصمود أمامهم فعاد مهزوما بعد مقتل كثير من أتباعه[٣] ، فعاد الى القيروان فى حين لاذ جماعة من أصحابه ومعهم سعيد بن بجرة بمدينة قابس .[٤]

ومرة أخرى تقف العصبية القبلية عائقا يحول دون توحيد الصفوف . ففى داخل قابس كان صدى هزيمة سلمة بن سوادة قوى الأثر مما حدى ببعض عساكر قابس أن يلتفوا حول زعيم يمني هو أبو الخطار الحسام ابن ضرار الكلبى ويعهدوا اليه بالقيادة[٥] . لكن أهل القيروان كان تمسكهم بنائب كلثوم بن عياض القيسى شديداً فرضخ الجميع لرغبة أهل القيروان وعاد الى قيادتهم جميعاً القاضى عبد الرحمن بن عقبة . ويعلل

---

(١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
(٣) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق والصفحة .
(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .
(٥) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء والصفحة .

سعد زغلول عبد الحميد أسباب العداء بين الطرفين الى سوء معاملة كلثوم وابن أخيه بلج لأبى الخطار واليمنية فى المغرب مما جعل أبا الخطار يقف موقف العداء من نائب كلثوم [١] .

ثم قام صفوان بن أبى مالك أمير طرابلس بناء على طلب كلثوم ابن عياض بالسير نحو قابس فى محاولة للقضاء على عكاشة الفزارى ، وكان سعيد بن بجرة ومن معه من جماعة سلمة بن سوادة قد خرجوا لنفس الغرض [٢] . ويبدو من الرواية أن ثمة اتفاقاً تم بين الرجلين (صفوان وسلمة) للخروج معاً فى محاولة للاحاطة والاطباق على عكاشة الفزارى ، لكن الذى حدث أن صفوان عندما علم بهزيمة كلثوم بن عياض فى موقعة بقدورة سنة ١٢٣ هـ عاد قافلا ، فى حين تحصن سعيد بن بجرة مع أصحابه فى قابس [٣] .

وأخيراً لحقت الهزيمة بعكاشة الفزارى من قبل القاضى عبد الرحمن ابن عقبة وأهل القيروان حيث وجده بين قابس والقيروان " فهزمه وقتل عامة أصحابه " [٤] .

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ، حاشية (٢١٥)
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .
(٤) ابن عبد الحكم : المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ .

حنظلة بن صفوان والقضاء على حركات البربر الصفرية :

ولما علم هشام بن عبد الملك بهزيمة جيشه فى المغرب غضب غضباً شديداً وندم على اخراج أهل الشام دون غيرهم من أهل العراق ، ولعله كان يتأمل النصر على أيديهم فيفوزا باثنتين : بالشهرة والمغنم . والذى يجعلنا نحلل تصرفه ذلك على هذه الشاكلة هو تحزبه وميله الى عصبيته . وحلف هشام ليخرجن الى البربر مائة ألف فارس من أصحاب الديوان ثم يتبعهم بمائة ألف أخرى ثم بمثلهم حتى اذا لم يبق سواه ومنيه يقرع بينه وبينهم ثم يخرج ان وقعت عليه القرعة [1] . وهذا ما يؤكد عزمه على الانتقام من البربر وتأديبهم ، كما يدلل على حرصه على بقاء المغرب ولاية من ولايات دولته .

ففى شهر صفر سنة ١٢٤ هـ عين الخليفة هشام بن عبد الملك واليه على مصر حنظلة بن صفوان الكلبى والياً على بلاد المغرب فوصل اليها فى شهر ربيع الآخر من تلك السنة [2] .

وكان لدى حنظلة قدرة كبيرة على ضبط البلاد ، والقضاء على الفتن . فما أن بعث اليه أهل الأندلس يطلب تعيين والٍ عليهم حتى نفذ أمرهم وبعث اليهم أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبى ، وعزل عنها عقبة ابن الحجاج [3] .

---

(١) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٤٠ .
(٢) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١١٥ ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٨ ـ الكندى ، ولاة مصر ، ص ١٠٤ .
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ـ الرقيق القيروان : المصدر السابق ، ص ١١٥ ـ ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ، ص ٤١ ـ السلاوى : الاستقصا ، جـ ١ ، ص ١١٣ .

كما ان عبد الرحمن بن حبيب حاول التغلب على الأندلس لولا أن تولية حنظلة ، وتعيينه أبا الخطار والياً على الأندلس جعلت عبد الرحمن ييأس من اقامة دولة له هناك فعاد الى المغرب [١] .

ويرى ابن عبد الحكم أن أبا الخطار والي الأندلس هو الذى أخرج عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس الى المغرب للقضاء نهائيا على الفتن والاضطرابات [٢] .

أما المغرب فقد كان خطر الخوارج مايزال يحدق بها . فهناك عكاشة الفزارى الذى لم تتمكن قوات كلثوم ونوابه من القضاء عليه تماما ، الى جانب زعيم بربرى آخر هو عبد الواحد بن يزيد الهوارى [٣] .

وكان حنظلة يقدر خطورة الوضع فراح يعد العدة لملاقاة الخوارج ، فأخرج ما كان فى الخزائن من سلاح ثم أحضر الأموال " ونادى فى الناس ، فأول من دخل عليه رجل من يحصب . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : نصر ابن ينعم . فتبسم حنظلة كالمكذب له ، وقال له : بالله اصدق ! فقال : والله ما لى اسم غير ماقلت لك . فتفاءل به وقال : نصر وفتح ! فأعطى الناس وخرج لمقابلة الصفرية " [٤] .

وأمر حنظلة بدرع فصبت عليه وسار يأمر لكل فرد بدرع وخمسين دينارا

---

(١) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٧ .
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ .
(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

فلما كثر عليه الناس رد العطاء الى أربعين ثم الى ثلاثين ، وأصبح عنده خمسة آلاف نابل معظمهم ذو قوة وفتوة وشباب [1] .

وعلى الرغم مما أعد من عدة للحرب الا أنه أراد القضاء على الفتنة بالسلم دون الحرب فجمع علماء أفريقية الذين كان قد بعثهم عمر ابن عبد العزيز اليها ليفقهوا أهلها فى الدين كحبان بن أبى جبلة ، وطلق ابن حابان وغيرهم [2] . وكتبوا له رسالة الى أهل طنجة ليقتدى بها المسلمون فيجتنبوا الفتنة ويعودوا الى الطاعة .

جاء فى الرسالة :

" من حنظلة بن صفوان الى جميع أهل طنجة :

أما بعد ، فان أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : انه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل الى عشر آيات : آمرة وزاجرة ، ومبشرة ومنذرة ، ومخبرة ، ومحكمة ، ومتشابهة ، وحلال ، وحرام ، وأمثال . فآمرة بالمعروف وزاجرة عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة بخبر الأولين والآخرين ، ومحكمة يعمل بها ، ومتشابهة يؤمن بها ، وحلال أمر أن يؤتى ، وحرام أمر أن يجتنب ، وأمثال واعظة ، فمن يطع الآمرة ، وتزجره الزاجرة ، فقد استبشر بالمبشرة ، وأنذرته المنذرة ، ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس الى الله ، مع طاعة واضحة ، ونية صالحة ، فقد

---

(١) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١١٩ .
(٢) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٦٧ .

فلح وأنجح ، وحيا حياة الدنيا والآخرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .»[١]

ثم بدأت مرحلة التحرك الفعلى للقضاء على الثورة ، فبعث حنظلة ابن صفوان عبد الرحمن بن عقبة لقتال عكاشة الفزارى فى منطقة الزاب[٢] . وكان قد حل بها بعد هزيمته فى قابس ، وذلك فى رمضان سنة ١٢٤هـ ، وتمكن عبد الرحمن من هزيمته وقتل عامة أصحابه[٣] .

ثم جمع عكاشة جمعاً آخر وقابل به عبد الرحمن بن عقبة فهزمه عبد الرحمن للمرة الثانية[٤] . لكن لما انضم الى عكاشة الفزارى عبد الواحد ابن يزيد الهوارى هُزِم عبد الرحمن وقتل مع من كان معه سنة ١٢٤ هـ[٥] .

ويذكر سعد زغلول عبد الحميد أن ذلك الانتصار الذى أحرزه الصفرية بالتعاون بين قوات عكاشة الفزارى وعبد الواحد بن يزيد الهوارى قد أدى الى بداية نزاع بين عكاشة وعبد الواحد حول الرئاسة لمن تكون[٦] .

وبدأ عبد الواحد بن يزيد يوجه أنظاره نحو تونس ويعمل لحسابه الخاص فى محاولةٍ للاستيلاء عليها . وقد أرسل اليه حنظلة بن صفوان جيشاً

---

(١) المالكى : رياض النفوس ، جـ ١ ، ص ٦٧ .
(٢) الزاب كورة عظيمة بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلسان وسجلماسة (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٢٤) .
(٣) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١١٥ - ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
(٤) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق والصفحة .
(٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق والصفحة .
(٦) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ .

ليقطع عليه الطريق لكن عبد الواحد تمكن من هزيمة ذلك الجيش وذلك في صفر سنة ١٢٥ هـ (١) .

وترك حنظلة لواليه على تونس المستنير بن الحبحاب حرية الدفاع عن تونس أو الخروج منها بعد ما تبين له صعوبة التمسك بها لهزيمة قائده امام عبد الواحد ، فآثر المستنير الخروج منها مع عائلات الجند الى القيروان (٢) . فكانت تونس بذلك عرضة للسقوط في أيدى الصفرية بسهولة تامة ، وفي تونس بويع لعبد الواحد بن يزيد الهوارى بالخلافة (٣) .

ومن الملاحظ في هذه الفترة انقسام الخوارج الصفرية في المغرب الى فرق متعددة ، فهناك خالد بن حميد الزناتي في طنجة ، وعبد الواحد ابن يزيد الهوارى ، وعكاشة بن أيوب الفزارى في المغرب الأدنى . وتدلنا رواية خليفة بن خياط على أن خالد بن حميد الزناتي كان يعتبر نفسه رئيسا أعلى لجميع خوارج المغرب الصفرية ، فقد أرسل رسولا يدعى عبد الأعلى المعروف بزوزور وأمره أن يحل لواء عبد الواحد بن يزيد الهوارى (٤) .

ونظراً للنزاع بين عكاشة الفزارى وعبد الواحد بن يزيد حول الامامة

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ .
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(٤) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ٢ ، ص ٣٧١ (نقلا من : سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٤) .

فان الاثنين تسابقا على دخول القيروان والسابق اليها تكون له الامامة [(١)] .

وفى منطقة باجة كان هناك لقاء بين جيش عبد الواحد بن يزيد ، وجيش حنظلة بن صفوان بقيادة رجل من لخم [(٢)] ، وكان معه أربعون ألف فارس ، وكان مصير هذا الجيش الهزيمة لعرض الخيول من ناحية بسبب تعليفها القمح بدلاً من الشعير لعدم وجوده ، ولوعورة الأرض التى قامت عليها المعركة من ناحية أخرى [(٣)] .

ثم وقفت قوات كل من عكاشة الفزارى وعبد الواحد بن يزيد بالقرب من القيروان ، وكانت جموعهم لا تحصى وكل واحد منهما فى ناحية منها . فعبد الواحد على بعد مرحلة منها فى موضع يعرف بالأصنام ، وعكاشة نزل على بعد ستة أميال من القيروان عند منطقة القرن [(٤)] .

ورأى حنظلة ضرورة حفر خندق حول القيروان . وكان الناس قد ملكهم الفزع والخوف وأكثر تخوفهم كان على نسائهم وأولادهم من السبى . ووصل حد الفزع بهم الى أن الرجل كان لا يخرج لتقصى الأخبار لمسيرة ثلاثة أميال الا اذا أعطاه حنظلة خمسين دينارا [(٥)] .

كما أن حنظلة فكر فى طلب المعونة من الخليفة الأموى ، لكن خاصته نصحوه بملاقاة العدو ، فنزل على رأيهم وطلب معونة واليه على طرابلس

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .
(٢) لم تذكر المصادر اسمه .
(٣) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١١٩ ـ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .
(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق والصفحة .

معاوية بن صفوان [١] .

ولما تمت استعدادات الجيش خرجت طائفةٌ من العلماء والفقهاء بعثهم حنظلة ليقووا معنويات الجند ويزيدوا فى ايمانه فراحوا يحثون على الجهاد ويذكرون فضله ،وذكروا مذهب الخوارج وهدفهم من السبي وهتك الحريم وسفك الدم ، ثم سار حنظلة بين الصفوف يحث على مثل ذلك [٢] .

كما شاركت نساء القيروان فى تحريض الرجال على القتال " وحلفن لأزواجهن : لئن انهزم أحد منكم الينا مولياً عن العدو لنقتلنه " [٣] .

موقعة الأصنام (أواخر سنة ١٢٤ هـ أوائل سنة ١٢٥ هـ) :

كان للعداء القائم بين الزعيمين البربريين الصفريين (عكاشة وعبد الواحد) أثر فى تهيئة الفرصة لحنظلة بن صفوان لقتال كل منهما على حده . ولذلك نراه يراسل عكاشة ويرغبه فى خطابه اليه ويمنيه [٤] ، حتى يلهيه عنه فترة ريثما يقضى على عدوه القريب عبد الواحد .

خرج الجيش وجعل حنظلة على رأسه محمد بن عمرو بن عقبة ،وتحت امرته على المقدمة شعيب بن عثمان ، وعلى المؤخرة عمرو بن حاتم ، وعلى الميمنة عبد الرحمن بن مالك الشيبانى . وكان الجيش مصمماً على الحرب الكلية حرب اليائس فاما احراز النصر على الصفرية ،فيتم بذلك القضاء

(١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ،ص ٢٩٩ ،سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ .
(٢) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ،ص ١٢١ .
(٣) الرقيق القيروانى : نفس المصدر والصفحة .
(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

على عدو خطر ، واما خسارة كل شئ من مال وأولاد ونساء[(١)] .

وسار حنظلة بجيشه الى عدوه عبد الواحد بن يزيد الهوارى ، وكان اللقاء عند منطقة الأصنام حيث التحم الفريقان فى قتال مرير[(٢)] . وقد بدأت المعركة بهجوم ميمنة عبد الواحد على ميسرة حنظلة فكسرتها ، ثم أحرز جيش حنظلة انتصاراً عظيماً حيث هزم البربر هزيمة ساحقة قتل فيها عبد الواحد بن يزيد الهوارى[(٣)] . ثم تتبع العرب جيش عبد الواحد المنهزم حتى وصلوا جلولاء[(٤)] .

موقعة القرن :

لقد اختلط الأمر على بعض المؤرخين فى توقيت موقعة القرن ، هل كانت مع الأصنام أم قبلها أم بعدها ؟ . فمنهم من يذكرها مع الأصنام مختلطة " المعلومات بينها "[(٥)] . وآخرون يذكرونها قبل الأصنام[(٦)] . كما أن بعض المؤرخين المحدثين مثل سعد زغلول عبد الحميد يرى أنها وقعت بعد معركة الأصنام ، وهذا مايفهم من سياق الروايات[(٧)] .

فبعد الانتصار الذى حققه حنظلة على عبد الواحد وأتباعه فى معركة الأصنام اتجه بقواته الى عكاشة فى القرن ، وكان عكاشة لا يعلم بهزيمة عبد الواحد ومقتله ، وكسر الناس أجفان سيوفهم ، وخرج النساء يحرضنهم[(٨)] .

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .
(٢) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٢١ .
(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٩٤ .
(٥) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، من ص ١١٩ الى ص ١٢١ .
(٦) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .
(٧) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .
(٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٩٤ .

وقد اندفع رجال حنظلة يطغى عليهم الحماس بما حققوه من نصر على عبد الواحد ورجاله وحملوا على عكاشة وجماعته حملة شديدة ، وبعد كر وفر أحرزوا انتصارهم العظيم وذلك فى نهاية سنة ١٢٤ أو أوائل سنة ١٢٥هـ.(١)

وهرب عكاشة حتى انتهى الى بعض نواحى أفريقية فأخذه قوم من البربر وحملوه أسيرا الى حنظلة فقتله وتخلص من شره(٢) .

ويعتبر بعض المؤرخين هذه المعركة من المعارك الفاصلة فى التاريخ الاسلامى . وعنها يقول الليث بن سعد : " ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب الىّ من غزوة القرن والأصنام "(٣) .

وقد بلغ عدد القتلى فيها من الكثرة بحيث صَعُب عدهم فقالوا : وصل الى مائة ألف وثمانين ألفا(٤) .

تأديب خوارج طرابلس :

وبعد خروج والي طرابلس معاوية بن صفوان بقواته نحو القيروان استجابة لمعونة حنظلة بن صفوان ، سمع بهزيمة قوات البربر الصفرية فى القرن والأصنام وكان فى قابس ، فأمره حنظلة بأن يذهب لتأديب خوارج نفزاوه الذين اعتدوا على أهل الذمة هناك وسبوهم(٥) . وقد تمكن

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .
(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٩٤ .
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(٤) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٣ .
(٥) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

معاوية من هزيمتهم واستنقاذ أهل الذمة لكنه دفع حياته ثمناً لتلك البطولة (١) .

وبهذا تمكن حنظلة من القضاء على الثورات وتسكين الفوضى ، وان كان ذلك لم يمنع من غلبة البربر على المغربين الأوسط والأقصى وجزء من المغرب الأدنى لا سيما طرابلس ونواحيها من شرق قابس الى سرت (٢) .

ولقد كان حنظلة واقعياً وحكيماً بأن رضي بهذا الوضع ، اذ مازال البربر مستعدون للثورة لو خاشنهم حنظلة فينقلبون عليه انقلابة سيئة قد تؤدى الى ضياع سلطان الأمويين فى المغرب كله (٣) .

وقد توفى الخليفة هشام بن عبد الملك فى ٦ ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ قبل أن تصله أخبار انتصارات حنظلة بن صفوان ، وخلفه الوليد بن يزيد ، الذى أقر حنظلة على ولاية المغرب (٤) .

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .
(٢) محمد على دبوز : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ .
(٣) محمد على دبوز : نفس المرجع والجزء والصفحة .
(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٩ .

(٣) امارة بنى حبيب الفهرى واعلان الخطبة لبنى العباس

أدى عبد الرحمن بن حبيب دورا فى محاربة الخوارج بالمغرب ، وبعد المحنة التى أصابت جيش الخلافة الأموية فى ولاية كلثوم بن عياض خرج عبد الرحمن بن حبيب وبلج بن بشر الى الأندلس ، وقد كان هناك تحاسد وتنافس بينهما منذ كانا فى المغرب(١) . ولما قتل بلج بن بشر طمع عبد الرحمن بن حبيب فى امارة الأندلس ، لكن ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب وبالتالى تعيينه أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبى واليا على الأندلس قد أفقده الأمل فى اقامة مثل هذه الامارة ، ومن ثم أخرجه الوالي الجديد أبو الخطار الى المغرب فقدمها فى جمادى الآخر سنة ١٢٦ هـ(٢) .

فأخذ عبد الرحمن يدعو الناس الى نفسه فأجابوه ، ولا عجب فى سرعة اجابتهم له ذلك أن عبد الرحمن كان من أقدم بيوت العرب الفاتحين الذين استقروا بأفريقية فكانت الصلة بينه وبين الأفارقة والبربر قوية . أضف الى ذلك ما كان لأسرته من مكانة فى نفوس أهل المغرب لا سيما أن جده الأكبر عقبة بن نافع هو مؤسس القيروان . كما كان لوالده حبيب بن أبى عبده وجده أبو عبيده بن عقبة جهود مشكورة فى فتح بلاد المغرب(٣) .

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٣ .
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٣٠١ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١١١ - ١١٢ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢١ .

واتخذ عبد الرحمن تونس مركزا له [١] . ثم تهيأ للسير الى القيروان وكان حنظلة بن صفوان يؤثر السلم على الحرب فبعث اليه جماعة من وجوه الجند يدعونه الى الطاعة فلما وصلوا اليه أوثقهم بالحديد وأقبل بهم الى القيروان ، وكان قد كتب الى حنظلة يأمره بالخروج من العاصمة (القيروان) وأعطاه مهلة ثلاثة أيام [٢] .

وبعث عبد الرحمن الى صاحب بيت المال يأمره بعدم اعطاء حنظلة دينارا ولا درهما الا ما حل له من أرزاقه [٣] .

وسار عبد الرحمن صوب القيروان ومعه وفد حنظلة اليه كلهم موثوقون بالحديد اتخذهم كرهائن عنده حتى لا يقاتله أصحابهم وأرسل الى أوليائهم يحذرهم قتاله ويقول : " ان رميتم ولو بحجرة قتلت من في يدي " [٤] .

فلما رأى حنظلة الوضع على هذه الحال دعا القاضي والعدول وفتح بيت المال وأخذ منه ألف دينار وترك الباقي ورحل عن المغرب سنة ١٢٧ هـ [٥] .

ودخل عبد الرحمن القيروان ونادى مناديه : أن لا يخرج أحد مع

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٠ .
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٣٠١ - السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٧ .
(٣) ابن عبد الحكم : نفس المصدر السابق والصفحة .
(٤) السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٧ .
(٥) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

حنظلة ، فخاف الناس سطوته . ودعا حنظلة على عبد الرحمن وعلى أهل المغرب وكان ~~مستجاب~~ رجلاً صالحاً الدعوة فوقع الوباء والطاعون ببلاد المغرب سبع سنين لا يرتفع عنهم الا مرة فى الشتاء ومرة فى الصيف[١] .

وكانت الخلافة قد آلت الى مروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ[٢] فأعطى عبد الرحمن طاعته للخليفة الجديد فبعث اليه بولاية بلاد المغرب[٣] .

الثورات فى عهد عبد الرحمن بن حبيب :

لم يمض شهر واحد على ولاية عبد الرحمن بن حبيب حتى خرجت عليه البربر والعرب فى كل جانب[٤] . فثار عليه عروة بن الوليد الصدفي الذى استولى على تونس ، كما ثار عليه عرب الساحل ، وقام عليه ابن العطاف الأزدي[٥] . وثارت عليه البربر فى الجبال ، كما ثار ثابت الصنهاجي بباجه وأخذها[٦] .

وبعث عبد الرحمن بن حبيب أخاه الياس على رأس ستمائة فارس الى ابن عطاف الأزدى الذى ثار فى منطقة الساحل (مابين سوسه وسفاقس) وأمره باستعمال الحيلة بأن يتجه الى ابن عطاف الأزدى جاسوس عبد الرحمن

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٠ .
(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٢٣ .
(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٠ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ .
(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦١ - الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .
(٦) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٢٦ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ .

يعلمه بأمانه هو ورجاله ثم يباغتهم على غرة[(١)] .

وخرج عليهم الياس بن حبيب مفاجأة : " فلم يدرك القوم لبس الدروع وكان همهم أخذ السيوف فقتلوا وقتل ابن عطاف "[(٢)] ، وكان ذلك سنة ١٣٠ هـ[(٣)] .

فلما بعث الياس الى أخيه عبد الرحمن يعلمه بالنصر طلب منه التوجه الى تونس ليقضي على ثورة عروة الصدفي قبل أن يتنبهوا لقوة عبد الرحمن وعزمه فى القضاء على منازعيه[(٤)] .

ووزع الياس جنده الى ثلاثة طوائف ، فجعل مائتين على طريق الجزيرة ، ومائتين على طريق باجة ، وهو فى مائتين على طريق القيروان . وكان عروة فى الحمام فأعلمه خاصته بقدوم خيل من الجزيرة وباجة فقال جاءوا لمساعدتنا ، ثم أعلموه بخيل من القيروان فأدرك خطورة الموقف وذعر وخرج من الحمام بملحفة ومنشفة ، فدخل عليه الياس وصاح به " ياعروة يافارس العرب "[(٥)] . وتقاتل الرجلان فكانت الدائرة على عروة الذى قتل وحمل رأسه الى عبد الرحمن بن حبيب[(٦)] .

---

(١) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
(٢) الرقيق القيروانى : نفس المصدر والصفحات .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢٥ .
(٤) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .
(٥) الرقيق القيروانى : نفس المصدر ، ص ١٢٨ - السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١١٧ .
(٦) الرقيق القيروانى : نفس المصدر والصفحة - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦١ .

وأقام الياس فى تونس حتى بعث اليه عبد الرحمن بالذهاب الى باجة والقضاء على الثوار فيها [١] .

ثورة طرابلس :

يعتبر المؤرخون هذه الثورة من أعظم الثورات التى قامت ضد عبد الرحمن بن حبيب ، ولذلك نجد هم يسهبون فى الحديث عنها [٢] . ولعل ذلك راجع الى أن ثورة طرابلس كانت تحمل طابعا عقائديا اذ كان الثوار من الخوارج الأباضية [٣] .

عين عبد الرحمن بن حبيب أخاه الياس واليا على طرابلس ، ولم يكن الياس يحسن التصرف لذا نراه يأخذ زعيم الأباضية فى طرابلس عبد الله بن مسعود التجيبى ويقتله سنة ١٢٩ هـ [٤] . ولا تذكر المصادر السبب الذى دعى الياس الى قتله ولكن من المرجح انه قام بنشاط كبير شعر فيه الياس بخطورة الموقف فرأى التخلص منه حتى لا يستفحل أمر الأباضية كما هو حال الصفرية [٥] .

ولكن مقتل عبد الله بن مسعود التجيبى أدى الى نتائج عكسية اذ ثار الأباضيون على الياس ، وقد حاول أخوه عبد الرحمن التخفيف

(١) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ، ص ١٢٨ .
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
(٣) الطاهر أحمد الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ١٦٨ .
(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٣٠١ - عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٨ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣٢٠ .
(٥) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

من حدة غضبهم فعزل أخاه الياس وعين على طرابلس حميد بن عبد الله العكى [١] .

الا أن هذه الاجراءات لم تغير شيئا اذ اجتمعت الأباضية تحت قيادة عبد الجبار بن قيس المرادى ومعه الحارث بن تليد الحضرمى وساروا حتى حاصروا حميد بن عبد الله العكى ، وكانوا يطالبونه بدم عبد الله بن مسعود المقتول [٢] ، فطلب حميد منهم الأمان فأمنوه ولم يصيبوه بأذى ، الا أنهم قتلوا أحد رجاله ويسمى نصير بن راشد شبهاً بدم عبد الله بن مسعود التجيبى [٣] .

ثم عين عبد الرحمن بن حبيب يزيد بن صفوان المعافرى على طرابلس ، وحاول يزيد بن صفوان جهده لاستمالة قبيلة هواره حتى لا تنضم الى الثوار فيقوى معسكرهم بهم فأرسل اليهم رجلاً منهم هو مجاهد ابن مسلم الهوارى لكنه فشل فى مهمته بعد أشهر أقامها بينهم وعاد الى طرابلس بعد أن طردوه منها وانضم الى يزيد بن صفوان [٤] .

وكان عبد الجبار قد استولى على أرض زناته بعد انتصاره على حميد العكى [٥] . ورأى عبد الرحمن بن حبيب ضرورة استخدام القوة للقضاء على

---

(١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٣٠١ .
(٢) ابن عبد الحكم : نفس المصدر والصفحة .
(٣) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .
(٤) ابن عبد الحكم : نفس المصدر والصفحة .
(٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر والصفحة .

الأباضية فسير الى طرابلس قوة من الخيالة بقيادة محمد بن مقرون ، وكتب الى يزيد بن صفوان بالسير معه لمحاربة الثوار . وكان اللقاء بين قوات ابن حبيب وبين عبد الجبار والحارث في مكان من أرض هواره[١] . والتحم الفريقان في معركة انتهت بهزيمة جيش ابن حبيب ومقتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مقرون وانسحاب مجاهد بن سلم بفلول الجيش المنهزم[٢] .

بعد ذلك حشد عبد الرحمن جيشاً جديداً عهد بقيادته الى عمرو ابن عثمان ، ولكن هذا الجيش انهزم أيضاً في أرض زناتة ، وتمكن الأباضية من الاستيلاء على طرابلس كلها[٣] .

وخرج بعد ذلك عمرو بن عثمان ومعه مجاهد بن سلم لمقاتلة الأباضية ، لكن عمرو بن عثمان اضطر الى الفرار بعد ما علم بتتبع الحارث بن تليد له وترك عسكره بين يدى الحارث بعد أن أدركته خيله وقتل بعض أصحابه ونجا على فرسه جريحاً[٤] ، فكان ذلك ما قوى أمر عبد الجبار والحارث[٥] .

وأخيراً استعمل عبد الرحمن بن حبيب الحيلة للقضاء عليهما فدس لهما عصابة من أتباعه قتلوهما في دار الندوة ، ووضعوا سيف كل منهما في جسم الآخر ليتوهم أتباعهما بأن خلافاً نشب بين الزعيمين أدى الى

---

(١) تمتد أرض هواره على طول ساحل طرابلس شمالا الى ما وراء جبل نفوسة جنوبا (سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢١ ، حاشية رقم ٣٨) .
(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٣٠١ .
(٣) ابن عبد الحكم : نفس المصدر والصفحة .
(٤) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٣٠٢ .
(٥) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ .

أن يقتل كل منهما الآخر [1] .

وقد أدى مقتلهما الى جدل كبير بين الأباضيين والى مشاكل فقهية بين زعمائهم . كما سبب ذلك انقسام الأباضيين واضعاف الروح المعنوية لدى اتباع الحركة فى المغرب الأدنى ، مما أدى بهم الى طلب معونة علماء البصرة للقضاء على ما ثار بينهم [2] .

وبينما الأباضية منقسمون على أنفسهم على هذا النحو قام اسماعيل ابن زياد النفوسى امام الأباضية فى طرابلس وخرج على عبد الرحمن ابن حبيب فعاجله عبد الرحمن بن حبيب بالهجوم قبل أن يتمكن الأباضية من توحيد صفوفهم ، فقتل اسماعيل بن زياد وانهزم جيشه وذلك سنة ١٣٢ هـ [3] وقد أدى انتصار عبد الرحمن بن حبيب الأخير على الأباضية الى هدوئهم مدة ثمانى سنوات من سنة ١٣٢ هـ الى سنة ١٤٠ هـ [4] .

علاقة عبد الرحمن بن حبيب بالخلافة العباسية :

فى سنة ١٣٢ هـ أعلنت الخلافة العباسية وتم بذلك القضاء على الدولة الأموية فأعلن عبد الرحمن بن حبيب ولاءه وطاعته للخليفة العباسى

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦ - عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٤١ .
(٢) عوض خليفات : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٣) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٣٠٢ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ - عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٣٢ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ .
(٤) عوض خليفات : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

الأول أبو العباس الذى أقره فى ولايته ، على أن النفوذ العباسى على بلاد المغرب كان نفوذاً شكليا [١] . يدل على ذلك موقف عبد الرحمن ابن حبيب من المغانم التى كان يحصل عليها فى غزواته حينما غزا صقلية وسردانية ، فانه لم يوسل منها شيئا الى دار الخلافة فى بغداد كما يقضى بذلك الشرع الحنيف من ارجاع ذلك الى الامام ، وكما تفعل ذلك الولايات الأخرى التابعة للخلافة فى بغداد .

وقد أشعر موقف عبد الرحمن هذا الخليفة العباسى أبو العباس بانفصال بلاد المغرب الفعلي عن الدولة العباسية ، وحاول معالجة الأمر بارسال حملة الى المغرب لادخالها فعلياً فى أملاك الدولة العباسية وكان ذلك سنة ١٣٦ هـ لكن حال وفاة الخليفة أبو العباس دون انفاذ تلك الحملة [٢] .

وفى تلك الفترة هاجر كثير من الأمويين الى المغرب فراراً من انتقام العباسيين وكان من بينهم ابنان للوليد بن يزيد ومعهما ابنة عمهما زوجها عبد الرحمن بن حبيب من أخيه الياس . ثم مالبث أن بلغه عنهما أنهما يسعيان للامارة فقتلهما فحنقت ابنة عمها لذلك وأوغرت صدر أخيه عليه بأنه ينسب الفتوحات لابنه بينما الياس هو قائدها ، كما أنه عهد الى ابنه حبيب بالامارة من بعده ، والياس أكبر سناً وأحق بها الى غير ذلك من الأقاويل التى أثارت الياس ضد أخيه وجعلته يفكر فى القضاء عليه [٣] .

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٥ .
(٢) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص ٣٢٦ .
(٣) ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان ، ص ١١٧ .

وصادف أن تولى أبو جعفر المنصور الخلافة فى ذى الحجة سنة ١٣٦هـ فأقر عبد الرحمن على ولايته فى المغرب وأرسل اليه خلعة سوداء لبسها عبد الرحمن وكانت أول سواد دخل الى بلاد المغرب ، وشعر عبد الرحمن أن ذلك يعنى دخول بلاد المغرب بشكل فعلي فى حوزة العباسيين فأرسل الى أبى جعفر المنصور هدية وكتب اليه يقول : "ان أفريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبى منها والمال ، فلا تطلب منى مالاً "[(١)] .
عند ذلك غضب المنصور وأرسل الى عبد الرحمن يتهدده ويتوعده ، فثار عبد الرحمن وجمع وجوه أهل القيروان فى الجامع وصعد المنبر وخطب فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم أخذ فى سب الخليفة أبي جعفر المنصور وقال : "انى ظننت ان هذا الخائن يدعو الى الحق ويقوم به ، حتى تبين لى خلاف ما بايعته عليه من اقامة العدل وانى الآن خلعته كما خلعت نعلى هذا "[(٢)] . وقطع عبد الرحمن الخطبة للخليفة العباسي فغضب بذلك أخوه الياس وزاد حنقه عليه الى جانب ما كان يحمله عليه فى نفسه ، فاتفق مع أخيه عبد الوارث للقضاء على عبد الرحمن ، ولكن عبد الرحمن فطن الى تآمرهما عليه ، فأراد أن يبعد الياس عن العاصمة فعهد اليه بولاية تونس[(٣)] . وجاء الياس ومعه أخوه عبد الوارث ليودعا عبد الرحمن ، ولما تقدم الياس ليسلم على أخيه عبد الرحمن طعنه بين

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣١٤ .
(٢) ابن أبى الضياف : المصدر السابق ، ص ١١٧ .
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣١٤ - سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٣ .

كتفيه وقطع رأسه ، وهرب ابنه حبيب بن عبد الرحمن الى تونس عند عمه عمران بن حبيب ، وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ١٣٧ هـ بعد أن قضى فى الامارة حوالى عشر سنين وسبعة أشهرا [(١)] .

الصراع بين الياس وابن أخيه حبيب على السلطة :

تولى الامارة بعد عبد الرحمن بن حبيب أخوه الياس بن حبيب الفهرى الذى أعلن ولاءه للخلافة العباسية وبعث الى الخليفة المنصور وفدا كان بينه القاضى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم . لكن الأمور لم تستقر له اذ خرج عليه ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن بعد أن جمع مواليه وموالي والده عبد الرحمن . وسار الى عمه الياس ومعه عمه عمران . والتقى الطرفان واقتتلا قتالا يسيرا ثم تفاوضا فيما بينهما على تقسيم بلاد المغرب بين ثلاثتهم فكانت تونس وصطفورة [(٢)] والجزيرة [(٣)] : من نصيب عمران ، وتكون قصفه وقسطيلية [(٤)] ونفزاوة [(٥)] لحبيب بن عبد الرحمن . فى حين تكون

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ ـ ابن أبى الضياف : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٢) صطفورة : اقليم على البحر عظيم له ثلاثة مدائن انبلونه وسيجة وبنزرت بالقرب من تونس . (ابن حوقل : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٧٥) .

(٣) الجزيرة : اقليم في بلاد المغرب له مدينة تعرف بمنزل باشوا واسعة العمل خصبة قريبة علىتونس . (ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٧٥) .

(٤) قسطيلية : كورة بأفريقية فى بلاد الجريد من أرض الزاب الكبير بها مدن كثيرة أهمها توزر . (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٤٨) .

(٥) نفزاوة : مدينة من أعمال أفريقية بينها وبين قابس ثلاثة أيام وقفصة على بعد مرحلتين منها . ويقال أنها من نواحى الزاب الكبير بالجريد . (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٢٩٦) .

سائر أفريقية لالياس بن حبيب وكان هذا الاتفاق سنة ١٣٨ هـ[(١)] .

على أن الياس غدر بأخيه عمران وقتله بعد دخوله معه الى تونس . كما ساءت العلاقة بين الياس وابن أخيه حبيب بن عبد الرحمن وانتهى الوضع بأن تم اتفاق بين الطرفين ، خرج بموجبه حبيب الى الأندلس ، لكن حبيب ضمر الغدر فى نفسه لعمه الياس ، فبعد مسيرة عبر البحر مع عمه عبد الوارث لم يلبث أن توقف فى منطقة طبرقة القريبة من بنزرت وبدأ يوجه نظره نحو القيروان ، ولما علم عمه الياس بذلك استخلف على القيروان محمد بن خالد القرشى وخرج لملاقاته واستخدم حبيب الحيلة مع عمه بأن أوقد نارا ليوهم عمه بأنه مقيم ، ثم سار صوب القيروان حيث تمكن من دخولها بعد أن هزم محمد بن خالد القرشى[(٢)] .

وفى القيروان اجتمع حول حبيب أنصار والده فكثر جمعه ، وخرج لملاقاة عمه الياس ، ولما التقيا عرض حبيب على عمه حقن دماء أتباعهما بأن يحكما السيف بينهما بالمبارزة ، فوافق الياس على ذلك ، وتمكن حبيب فى تلك المبارزة من قتل عمه الياس وأصبح هو صاحب السلطان فى بلاد المغرب[(٣)] .

نهاية أسرة الفهريين :

لم تستقر الأمور لحبيب بن عبد الرحمن ، فقد هرب عمه عبد الوارث

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣١٤ .
(٢) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٣١٥ .
(٣) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة ـ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٦ .

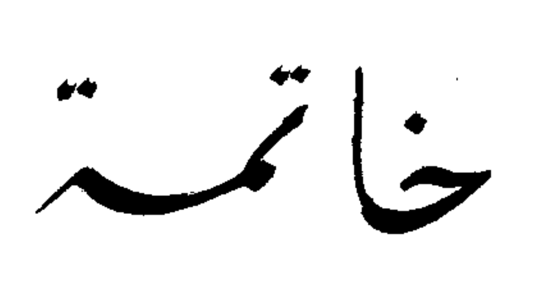
مع من معه من أنصار أخيه الياس الى قبيلة ورفجومة من البربر الصفرية وكان زعيمها عاصم بن جميل قد تحالف مع سكوم أمير قبيلة ولهاصة وأعلنوا ولاءهم للخلافة العباسية وقرروا تخليص القيروان من حبيب بن عبد الرحمن الذى أرسل الى عاصم بن جميل يأمره بتسليم عمه عبد الوارث ، ثم خرج حبيب بجيشه لقتال البربر الصفرية بعد ان استخلف على القيروان القاضى أبا كريب جميل بن كريب المعافرى [١] .

لكن الصفرية تمكنوا من هزيمة حبيب بن عبد الرحمن الذى فر الى قابس فى حين اتجه الصفرية الى القيروان التى انقسم أهلها على أنفسهم فانهزموا أمام قوات عاصم بن جميل وقتل أبو كريب وأكثر أصحابه وذلك سنة ١٣٩ هـ ، وبهذا سقطت القيروان فى أيدى البربر من الصفرية " الذين استحلوا المحارم وارتكبوا الكبائر " [٢] .

توجه بعد ذلك عاصم بن جميل نحو حبيب فى قابس ، وقد التقى الطرفان فى معركة انتهت بمقتل عاصم وعدد كبير من جنده . فسار حبيب نحو القيروان فى محاولة لدخولها وانتزاعها من الصفرية لكنه انهزم وقتل سنة ١٤٠ هـ . وبذلك انتهت أسرة الفهريين على يد الخوارج الصفرية من البربر [٣] .

* * *

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣١٦ .
(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٠ .
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣١٦ ـ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ .


خاتمة

خاتمــــــــة

الحمد لله الذى أنعم على بنعمة اعداد هذا البحث وأســـــأله تعالى أن يكون ذلك العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يستفيد منـــه كل طالب علم .

ولا بد أن القارئ الكريم قد لاحظ أن الفتح الاسلامى للمغـــــرب كان له أثر عظيم فى هذه البلاد بما أحدثه فيها من تغيير جذرى فـى العقيدة والاقتصاد والسياسة والعمران والثقافة وكافة جوانب الحيـــــاة الأخرى ، ونتج عنه تحول بلاد المغرب من بلدٍ يضم عقائد شتى الـــى بلدٍ له عقيدة واحدة يحكم بها ولاةٌ مسلمون ويرتبط بكيان الدولـــــــة الاسلامية .

كما لابد من ملاحظة أثر السياسة الحكيمة التى سار عليهـــا ولاة الدولة الأموية فى بلاد المغرب من أمثال محمد بن يزيد القرشـــــى ، واسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر دينار ، تلك السياسة التى نتـــج عنها بفضل جهودهم فى نشر الاسلام ومعاملتهم الطيبة لأهل البـــلاد وانشاء المدن والمساجد وعقدهم لحلقات العلم والفقه أن أضحى الاسلام دين الغالبية العظمى من سكان المغرب . . وبالتالى أضحت فى بـــلاد المغرب أمة واحدة على اختلاف أجناس المجموعات البشرية الموجودة فيها واختلاف ألوانها وتربطهم عقيدة التوحيد ويتعاملون معاً فى ضـــــوء شريعتها السمحاء .

كما أدت جهود هؤلاء الولاة فى نشر الاسلام الى انتشار اللغة العربية فصارت لغة رسمية للبلاد ، وأدى اختلاط المسلمين العرب الفاتحين بالبربر المسلمين الجدد الى امتزاج الدماء والى نوع من التعريب الجنسى بدت آثاره واضحة ، كما بدت فى بلاد المغرب كلها - وليس فى المنطقة الساحلية فحسب - ، لأول مرة حضارة زاهية لم يُعرَف لها مثيل طوال تاريخ هذه البلاد عبر عصورها الماضية .

على أن سياسة الاستبداد والظلم التى سار عليها بعض الولاة من أمثال يزيد بن أبى مسلم الذى فرض الجزية على رقاب حديثى العهد بالاسلام والخراج على أراضيهم قد أحدثت نوعاً من السخط والتذمر ضد الوالى يزيد بن أبى مسلم الذى انتهى أمره بقتل البربر له .

وزاد الوضع سوءاً انتشار مبادئ الخوارج الأباضية والخوارج الصفرية آنذاك فى بلاد المغرب ، وما فيها من دعوة الى المساواة بين الناس جميعاً والى وجوب الخروج على الامام الجائر ، فشجع ذلك البربر على اعتناق تلك المبادئ . وقد كان ينبغى للبربر أن يعلموا أن الثورة والخروج على الامام لا تجوز شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر ﴾ رواه مسلم . الا اذا أظهر الكفر البواح أو ترك الصلاة . ولو قسنا هذا الوضع على خلافة الأمويين لوجدنا ان خلفاء بنى أمية منذ عهد معاوية بن أبى سفيان الى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك - وهى فترة اضطرام الثورات الخارجية فى المغرب - لم تذكر المصادر عن أى واحد منهم انه أظهر الكفر البواح أو ترك

الصلاة . فلم تكن هناك حاجة اذاً للخروج من الوجهة الشرعية . صحيح ان البربر كانوا يعانون من ظلم بعض الولاة كيزيد بن أبى مسلم وعبيد الله ابن الحبحاب وحاولوا معالجة الوضع وتداركه بارجاع الأمر الى الخليفة المسؤول لكن دون جدوى . الا أن ذلك لا يبرر خروجهم على الامام مطلقاً لاسيما وان هذه حالات فردية وأنهم قد عاشوا من قبل فى ظل حكام مسلمين عدول أحسنوا اليهم وساووهم بغيرهم فما يكون بعد ذلك من فرد أو اثنين أو ثلاثة انما هو فترة زمنية وابتلاء من الله تعالى لابد معه من الصبر ليعظم الأجر .

وقد بذل الخلفاء وولاتهم على بلاد المغرب جهوداً جبارة وأموالاً طائلة للقضاء على ثورات البربر وابقاء المغرب ولاية تابعة للدولة الاسلامية . وقد أتت ثمار تلك الجهود فى ولاية حنظلة بن صفوان الكلبى فى موقعتى القرن والأصنام .

على اننا نجد أن حنظلة بن صفوان الذى كان لله تعالى ثم له فضل القضاء على ثورات الخوارج لم ينعم بولاية المغرب اذ خرج عليه عبد الرحمن بن حبيب فآثر حنظلة بن صفوان السلم وخرج الى المشرق . فأسس عبد الرحمن بن حبيب امارة بنى فهر فى بلاد المغرب وكان عبد الرحمن آنذاك من القوة بحيث تمكن من القضاء على خصومه من العرب البربر . لكن تدهور العلاقة بين عبد الرحمن بن حبيب وبين العباسيين ثم قطعه الخطبة للخليفة العباسى فى المغرب بالاضافة الى عهده بالامارة لابنه حبيب دون أخيه الياس قد أثارت أخاه هذا فتآمر عليه وقتله . وكانت

نهاية عبد الرحمن بداية انهيار أسرة الفهريين اذ قام صراع بين الياس وابن أخيه حبيب قتل الأول على أثره ، ثم انضم عمه عبد الوارث - الذى كان شريك أخيه الياس فى مؤامرة قتل عبد الرحمن بن حبيب - الى قبيلة ورفجومة من الخوارج الصفرية من البربر الذين تمكنوا من القضاء على حبيب بن عبد الرحمن ، وسقطت القيروان اثر ذلك فى أيدى الخوارج الصفرية من قبيلة ورفجومة ، وانتهت بذلك أسرة الفهريين فى بلاد المغرب .

وبهذا تم البحث وأسأل الله تعالى أن يوفقنى لما فيه خير الاسلام والمسلمين . وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

((قائمة المصـــــــادر))

١ - ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) الحلة السيراء ، جزءان ، تحقيق وتعليق حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٣م .

٢ - ابن أبى زرع (ت ٧٢٦ هـ) الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، طبعة محمد الخلالى ، ١٩٣٦م.

٣ - ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) الكامل فى التاريخ ، تسعة أجزاء ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٣٨٥ هـ .

٤ - ابن أبى الضياف (ت ١٢٩١ هـ) اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق لجنة الدولة للشئون الثقافية والأخبار ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

٥ - ابن أبى دينار (عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى) المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس، تونس ، ١٢٨٦ هـ .

٦ - ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، أربعة عشر جزء ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٨ هـ / ٢٩٢٩م .

٧ - ابن تيميه (ت ٧٢٨ هـ) — السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٩م .

٨ - ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) — الاصابة فى تمييز الصحابة ، أربعة أجزاء ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨ هـ .

٩ - ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) — جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧م .

١٠ - ابن حوقل النضبى (عاش فى القرن العاشر الهجرى) — صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م .

١١ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) — تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر ، سبعة أجزاء ، دار الفكر ، القاهرة .

١٢ - ابن رسته (ت أوائل القرن الرابع الهجرى) — الأعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٨١م .

١٣ - ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) — فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ، ١٩٦١م .

١٤ - ابن عبد الحكم أبو عبد الله (ت ٢١٤) — سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق أحمد عبيد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٧م .

١٥- ابن عذارى (ت ٦٩٥ هـ) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، أربعة أجزاء ، تحقيق ج - س كولان - وليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت .

١٦- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) الامامة والسياسة ، جزءان ، تحقيق طه الزينى ، دار المعرفة ، بيروت .

١٧- أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ) صحيح مسلم ، خمسة أجزاء ، تصحيح وتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، دار احياء التراث العربى ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م .

١٨- أبو العرب بن تميم القيروانى (ت ٣٣٣ هـ) طبقات علماء أفريقية وتونس ، تقديم وتحقيق على الشابى - ونعيم حسن اليافى ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٨م .

١٩- أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) الأموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل الهراس ، دار الشباب للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

٢٠- أبو يعلى الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨ هـ) الأحكام السلطانية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م .

٢١- أبو يوسف (ت ١٨٢ هـ) الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٠٢ هـ .

٢٢- البكرى (ت ٤٨٧ هـ) المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٨٥٧م .

٢٣- البغدادى (ت ٤٢٩ هـ) الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى ، القاهرة .

٢٤- البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٢٥- الجزنائى (ت) جنى زهرة الاس فى بناء مدينة فاس ، تقديم عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م .

٢٦- الحميدى (ت ٤٨٨ هـ) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٢٧- الدباغ (ت ٦٩٦ هـ) معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، جزءان ، تحقيق ابراهيم شبوح ، مكتبة الخانجى بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م .

٢٨- الرقيق القيروانى (ت ٤١٧ هـ) تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، مطبعة رقيق السقطى ، تونس .

٢٩- السلاوى الناصرى (ت ١٣١٥ هـ) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا ، تسعة أجزاء ، تحقيق ولدى المؤلف جعفر الناصرى ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م .

٣٠- الشهرستانى (ت ٥٤٨ هـ) الملل والنحل ، خمسة أجزاء ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٥/١٩٧٥

٣١- الضبي (ت ٥٩٩ هـ) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م.

٣٢- الطبري (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ، عشرة أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م.

٣٣- الكندي (ت ٣٥٠ هـ) ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار بيروت للطباعة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ .

٣٤- المالكي (ت ٤٣٨ هـ) رياض النفوس ، تحقيق حسين مؤنس ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥١م.

٣٥- الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ.

٣٦- المسعودي (ت ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أربعة أجزاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .

٣٧- المقري (ت ١٠٤١ هـ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، خمسة أجزاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٦٩ هـ .

٣٨- مؤلف مجهول — أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ .

٣٩- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) — معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

٤٠- يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣ هـ) — الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

* *

((قائمة المراجع))

١ - ابراهيم بيضون — ملامح التيارات السياسية فى القرن الأول الهجرى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٢ - ———— الدولة العربية فى أسبانيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٣ - ابراهيم حركات — المغرب عبر التاريخ ، طبع ونشر دار السلمى ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م .

٤ - ابراهيم محمد حسن الجمل — أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، دار الشعب ، القاهرة .

٥ - أحمد بدر — دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م .

٦ - أحمد مختار العبادى — فى تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٧ - ———— دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، بيروت .

٨ - أحمد مختار عمر — النشاط الثقافى فى ليبيا من الفتح الاسلامى حتى بداية العصر التركى ، دار الكتب ، بيروت ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .

٩ - ألفرد بل — الفرق الاسلامية فى الشمال الأفريقى ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، دار ليبيا للنشر ، بنغازى ، ١٩٦٩م .

١٠- أسين مدنى — الثقافة الاسلامية وحواضرها ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١١- أ . س ترتون — أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة حسن حبشى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

١٢- البشير بن سلامة — الشخصية التونسية خصائصها ومقوماتها ، الشركة التونسية ، تونس ، ١٩٧٤م .

١٣- توماس أرنولد — الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن - وعبد المجيد عابدين - واسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م .

١٤- ثابت اسماعيل الراوى — العراق فى العصر الأموى ، مكتبة النهضة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥م .

١٥- ج . ديسوا — تونس ، تعريب الصادق مازيغ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٩م .

١٦- حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ م .

١٧- حسن حسنى عبدالوهاب — خلاصة تاريخ تونس ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، الطبيعة الخامسة ، ١٩٧٦م .

١٨- ———— ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٤م.

١٩- حسن سليمان محمود — ليبيا بين الماضى والحاضر ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

٢٠- حسين مؤنس — فجر الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

٢١- خيرالله طلفاح — حضارة العرب فى الأندلس ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٢- د وزى — تاريخ مسلمى أسبانيا ، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٢٣- سعد زغلول عبدالحميد — تاريخ المغرب العربى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٩م.

٢٤- سعيد حوى — فصول فى الامرة والأمير ، مطبعة الرسالة ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٢٥- سيد قطب — دراسات اسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ .

٢٦- سيدة اسماعيل كاشف — مصر فى فجر الاسلام من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٠م .

٢٧- السيد عبد العزيز سالم — المغرب الكبير - العصر الاسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

٢٨- شكرى الفيصل — حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول الهجرى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٢م .

٢٩- ———— — المجتمعات الاسلامية فى القرن الأول الهجرى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣م .

٣٠- صالح باجيه — الأباضية بالجريد ، دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م .

٣١- الطاهر أحمد الزاوى — تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، دار التراث العربى ، ليبيا ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ .

٣٢- عبد الرحمن فهمى محمد — النقود العربية ماضيها وحاضرها ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

٣٣- عبد العزيز بنعبد الله — تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء .

٣٤- عبد الله العروى — المغرب محاولة فى التركيب ، ترجمة ذوقان قرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، ١٩٧٧م .

٣٥- عماد الدين خليل — ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر ابن عبد العزيز ، الدار العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .

٣٦- علـــى حبيبـــــه — مع المسلمين فى الأندلس ، دار الشروق ، جده ، الطبعة الثانية .

٣٧- عمــر فــروخ — الدولة الأموية وصدر الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٦م .

٣٨- عــوض خليفــات — نشأة الحركة الأباضية ، عمان ، ١٩٧٨م.

٣٩- غوسـتاف لوبـون — حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابى الحلبى ،القاهرة ، ١٩٦٩م.

٤٠- فـرج محمد الـهونـى — النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية ، مطابع الثورة ، بنغـازى ، ليبيا ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

٤١- محمـد أبو زهــرة — تاريخ المذاهب الاسلامية ، مطبعـة السعادة ، القاهرة .

٤٢- محمـد التنوخـى — عقبة بن نافع فاتح ليبيا والمغرب ، مكتبة قورينا ،بنغازى ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

٤٣- محمد جمال الدين سرور — الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ،القاهـرة ، الطبعة الخامسة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤٤- محمد الحسينى عبد العزيز — الحياة العلمية فى الدولة الاسلاميـة ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٣م .

٤٥- محمد ضياء الدين الريس — النظريات السياسية الاسلامية ، دار التراث القاهرة ، الطبعة السابعة، ١٩٧٩م .

٤٦- محمد الطيب النجار: الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

٤٧- محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول - القسم الأول ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩/١٩٦٩

٤٨- محمد العروسي المطوي: سيرة القيروان ورسالتها الدينية والثقافية في المغرب الاسلامي ، الدار العلمية للكتاب ، تونس ، ١٩٨١م .

٤٩- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى

٥٠- محمد الفاضل بن عاشور: المحاضرات المغربيات ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م.

٥١- محمد الهادي الشريف: ما يجب أن تعرف عن تونس ، تعريب مع الشاوش - ومحمد عجينة ، دار سراس، تونس ، ١٩٨٠م .

٥٢- محمد ولداده: مفهوم الملك في المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧م.

٥٣- محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م.

٥٤- محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب العربي ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ .

٥٥- محمود نصير بك — أبطال الفتح الاسلامى ، مطبعة خلف ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

٥٦- موسى لقبال — الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م .

٥٧- يوليوس فلهوزن — تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية ، تعريب وتعليق محمد عبد الهادى أبو ريدة ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

* *

((محتويــات البحــــــث))

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
١٢	سعدزغلول عبد المجيد	سعد زغلول عبد الحميد	٩٩	ابراهيم حركسان	ابراهيم حركان
١٧	مشارق	مشارف	١٠١	الحجل	الجمل
١٩	التبر	البتر	١٢٠	موقعة القدورة	موقعة الاشراف
٢٠	حسابن	حسابه	١٢٤	ابن الحبحاب	لابن الحبحاب
٤٢	بالمزاج	بالخراج	١٢٧	و ضاف	و هناق
٤٦	قوم	قدم	١٣٧	ليفتدى	ليقتدى
٤٩	ينبع	ينبغ	١٧٥	مع الشاوش	محمد الشاوش
٥١	ابو شيبه	ابو شيبه	٩	الأباضيه	الإباضيه
٥٧	انكساد	انكسار	١٦	[illegible]	[illegible]
٥٩	ورساتيقهم	ورساتيقهم	١٢	[illegible]	الأوربي
٦٦	رؤوسهم	رؤوسهم	٢٢	الجرة	الجلة
٨٢	بر بر بن قيس	بر بن قيس	٤٢	أم الدرداء	أبو الدرداء
٨٣	كتامه	كتامه	٥١	[illegible]	[illegible]
٨٣	اوريفه	اوريغه	٦٦	[illegible]	[illegible]
٨٣	ضريه	ضريسه	٦٩	الدريله	الدبيله
٩١	سلطانهمه	سلطانهم	٧١	بنو ادى	بنو عدى
٩٤	ما تمتع	ما تتمتع	٧١	رزقا	رزقا
			٧٢	[illegible]	[illegible]
			١٠٧	[illegible]	[illegible]